نظرية الكتاب الأول

دراسة عقائدية في علم البارسايكولوجي

تأليف
الدكتور عبد الستار الحاج أسمير الرجبو
دكتوراه في علوم الحياة

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Title: **NAẒARIYYAT AL-KITĀB AL-ʾAWWAL**

(The Theory of the first eternal Record
A doctrinal study in parapsychology)

classification: *Parapsychology*

Author: Dr. ʿAbdul-Sattār Al-Ḥajj Asmīr

Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Pages: 160

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: نظرية الكتاب الأول
دراسة عقائدية في علم الباراسايكولوجي

التصنيف: علم ما وراء النفس

المؤلف: د. عبد الستار الحاج أسمير الرجبو

الناشر: دار الكتب العلميـــة - بيروت

عدد الصفحات: 160

سنة الطباعة: 2007

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-5841-4 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5841-3 (13 dig)

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax:+961 5 804813
P.o.Box:11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمـون، القبـة،
مبنى دار الكتب العلميـة
هاتف: ١٢/١١/٨١٠ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
sales @al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

الإهداء

إلى من أنزِلَ عليه القرآن

وبُعِثَ بالقرآن وأوصى بالقرآن

عهداً علينا حتى نلقاك

إليك يا سراج الله المنير

يا من صلى عليك الله وملائكته

عبدالستار

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أخـــي القارئ الكريم الكتاب الذي بين يديك هو اجتهاد في باب الثقافة الإسلامية المعتمدة على الرأي والرأي المضاد ومقارعة الحجج ليس إلاّ واني أضع ما كتبه قلمي أمام مـــن يقرأ بقلبه وعقله وأحمّله أمانة الله أن يأخذ ما يقرأه بخيره وشرّه فيحمل خيره على القـــرآن ويحمـــل شره عليّ ، والله أعلم بجريرة نفسي ولا شفيع لي سوى أني أحب الله ورسوله ، ولا شرف لي أعظم من أن أكون خادم القرآن .

الدكتور

عبد الستار الحاج أسمير

خلاصة نظرية الكتاب الأول

إن النظــرية تفترض أن الحياة التي يعيشها أي إنسان حالياً على كوكب الأرض قد سبق له أن عاشها مسبقاً بروحه وجسده على نفس هذه الأرض وإن حياته الأولى بجميع تفاصيلها بدءً من ولادته وتسميته ورزقه وزواجه وأولاده وانتهاءً بوفاته وحسابه وثوابه أو عقابــه قــد تمت وسجّلت وختمت وحفظت في كتاب هو الكتاب الأول ، وما حياتنا الحالــية إلا اســتدارة زمانية انقلب وعاد بموجبها تسلسل عرض الكتاب الأول منذ بدء الخليقة وإلى قيام الساعة ، وإن الاستدارة تتم الآن في كتابٍ ثانٍ لا يتميز في أحداثه العامة عن الكتاب الأول إلاّ باستثناءات محدودة مرتبطة بعلاقة العبد مع ربه وتقربه إليه ، وتنص النظــرية أيــضاً إلى أن أحداث الكتاب الأول مسجلة في ذاكرة بني آدم وهذه الأحداث المــسجلة تمتد منذ الولادة ولما بعد الوفاة وإلى قيام الساعة لأن الأموات في عالم البرزخ (عــالم الأرواح) مطّلعون على الأحداث الدنيوية في (عالم الأرواح والأجساد) من ساعة وفــاتهم وإلى قــيام الساعة ولكن هذه الأحداث المسجلة المخزونة غُيّبت وحجبت عن ذاكرة بني آدم .

وإن التذكر الذاتي لبعض أحداث الكتاب الأول أو كشف الغطاء عن بعض أحداثه من خلال رؤى المنام أو الانتقال من الكتاب الثاني الحالي (روحياً ، أو روحياً وجسدياً) إلى الكتاب الأول القديم للاطلاع أو التحريك والنقل ممكن لآحاد من البشر ممن يمتازون بالــصفاء الروحــي أو يمتازون بقربهم من الله عز وجل وبإذنه تعالى ، فضلاً عن وجود طــريقة أخرى للاطلاع هي استخدام الواسطة في الاطلاع على بعض محتويات الكتاب الأول مــن خلال تسخِير الجن لأداء هذه المهمة ثم نقل المعلومات التي اطلع عليها الجن إلى الكاهن المتصل به ، أما الاطلاع التام على الكتاب الأول فيتم بعد الموت ، ولتبسيط فهمــنا لهــذه النظــرية نضرب مثلا نشبه بموجبه الكتاب الأول بمؤلف أدبي ضخم تم تشخيصه (تمثيله) من قبل البشر ثم أعيد تشخيص (تمثيل) هذا المؤلف الأدبي ضمن عرض

ثـــانٍ لا يختلف عن العرض الأول إلا باستثناءات محدودة تعتبر خروجاً عن النص الأول وهـــذه الاستثناءات تتحقق من خلال علاقة العبد مع ربه كما بينا . ما هي أدلتنا لإثبات هذه النظرية ؟

مـــن المعروف علمياً أن أولى مراحل وضع نظرية جديدة هي وجود المشكلة ثم وضع فرضية لحل هذه المشكلة ثم اختبار الفرضية فإن تطابقت مع الواقع ونجحت في حل المـــشكلة فـــإن الفرضـــية تتحول إلى نظرية ، وإن المشكلة موضوع الدراسة إن كانت مشكلة علمية فإن اختبار الفرضية عليها يكون بإجراء تجربة تطبيقية مختبرية أو حقلية أو ميدانية تخضع لشروط القياس والتجريب ، أما ان كانت المشكلة متعلقة بجوانب لايمكن اخضاعها لضوابط القياس والتجريب المختبري أو الحقلي مثل الأمور المتعلقة بالسمعيات والإلهيات والنبوات فإن اختبار الفرضية الموضوعة يكون من خلال المنطق والمحاجّة العقلية فـــضلاً عـــن الاعتماد على المصادر الثابتة النقلية مثل القرآن الكريم والأحاديث النبوية الـــشريفة ، وإن فرضـــية (الكـــتاب الأول) وضعت لتفسير الظواهر الباراسايكولوجية (المـــشكلة) ، وإن اختبار هذه الفرضية ومحاولة إثباتها سيتم من خلال محاور ثلاث هي إثبات الفرضية باراسايكولوجياً وإثبات الفرضية سايكولوجياً وإثبات الفرضية عقائدياً.

أ - إثبات الفرضية باراسايكولوجياً

قبل أن نسعى لإثبات الفرضية باراسايكولوجياً نقدم تعريفاً وأمثلة لأقسام هذا العلم الجديد نسبياً مع إضافتنا لتصنيف وشواهد جديدة له .

يتكون مصطلح الباراسايكولوجي من مقطعين هما البارا والسايكولوجي وتعني البارا قرب أو بجانب وسايكولوجيا تعني علم النفس فالمصطلح يعني ما يجاور علم النفس ، وهناك من يدعوه علم نفس الخوارق وهناك من يدعوه ما وراء علم النفس وتعاريف أخرى تجتمع عند معنى (ما يتجاوز علم النفس) من ظواهر خارقة وغريبة .

إنه علم يدرس الظاهرات المستغلقة على الفهم والخارقة للطبيعة والغريبة وغير المألوفة واللا معقولة أحياناً ويحاول أن يجد لها التفسير العلمي والفكري المناسب ، وهذه الظاهرات تشمل التخاطر والسيكوكينزيا والتنبؤ والجلاء البصري وغيرها ، وهناك من يحاول أن يدخل في الباراسايكولوجي كل شيء من علم (التنجيم) إلى معتقدات وممارسات الطائفة الدينية البوذية في اليوغا وكل غريب .

أما عن اعتماد هذا التخصص كعلم معترف به فقد كان عام ١٩٦٩ حيث تم اعتراف الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم بالباراسايكولوجي كعلم من خلال قبول انتماء الجمعية الباراسايكولوجية النيويوركية في عضويتها عام ١٩٦٩ وبهذا فقد دخل هذا العلم مجاله الحقيقي وميلاده الرسمي المعترف به (الموصلي) ولتسهيل تناول أغلب جوانب هذا العلم ارتأينا وضع التصنيف الآتي للقدرات غير المألوفة (الباراسايكولوجية) للبشر حسب أهميتها وكثرة شواهدها.

أولاً التنبؤ:

إذا ما أردنا وضع تعريف للتنبؤ فإنه يعني الإخبار عن أحداث مستقبلية ، وهذا الإخبار يتم من خلال مصادر أربعة الأول مصدر ذاتي والثاني مصدر متلقّى عن الجن والثالث من الأحلام والرؤى والرابع إلهام ربّاني ، وتتباين صحة التنبؤ ومدى تحققه مع تباين المصادر المستقى منها ، فمن المصادر الذاتية تنبؤات غير الكهنة الذين يعتمدون في تنبؤاتهم على التركيز الذهني ومن المصادر المتلقاة من الجن تنبؤات الكهنة وهذين المصدرين نسبة الخطأ في تنبؤاتهما غالباً ما تكون أعلى من نسبة النجاح وفي المصدر الثالث نلاحظ تساوي نسبتي النجاح والخطأ في تحقق النبوءة ففي الأحلام فشل تام وفي الرؤيا نجاح تام ، أما المصدر الرابع فيمتاز بالنجاح التام في تحقق النبوءات .

وسنضرب أمثلة لكل مصدر من المصادر الأربعة .

أ- المصدر الذاتي:

إن أقدم وثيقة مكتوبة وصلتنا من عمق التاريخ الصيني البعيد هو كتاب (أي جنك) الذي يرجعه بعض الباحثين إلى عام (٣٣٢٢ق.م) وهو من أهم كتب العالم الأدبي التي ظهرت في التاريخ لأنه يمثل أول جهد قام به العقل الإنساني لموضع الإنسان في الكون ولموضع الكون في الإنسان ، وهدف أول ما هدف إلى أن يكون كتاباً في الاستخارة يخلص الإنسان من مشكلة الاختيار ثم تحول هو أيضاً بدوره إلى مقلع للفنون السحرية والالهامات الدينية والفلسفية ومقتبس للانجازات العلمية فصار كتاباً للمعرفة (الموصلي) .

ومن مشاهير المتنبئين نعرض الشخصيات الآتية :

١- (وولف مسنغ):

رجل من أصل هندي عاش معظم حياته في بولندا وكان من ضمن قدراته الجبارة التنبؤ بالمستقبل وبدقة عجيبة حيث استطاع أن يتنبأ بتاريخ انتهاء الحرب العالمية الثانية وذلك بتحديد يوم وشهر وسنة انتهائها وكانت هذه النبوءة قد وضعت قبل سنة من نهاية

الحـــرب ، ومـــن نبوءاته التي تحققت نبوءة تقول (سوف يموت هتلر منتحراً بالرصاص) وبسبب قدراته الجبارة فقد سعى إلى التعرف به الكثير من المشاهير مثل (المهاتما غاندي) وستالين والعالمين أنشتاين وفرويد.

٢- (نوستر أداموس):

ولـــد بـــسنت ريمي بفرنسا عام (١٥٠٣م) وكانت عائلة أمه وأبيه تمتهن الطب والتنجيم ، وقد تنبأ بالمئات من التنبوءات عن المستقبل بقيت حية حتى يومنا هذا. ومن تنبوءاته الخالدة عن الحرب العالمية الثانية وقيام ألمانيا بإشعالها وفعلاً اندلعت هذه الحرب بعد موته بعدة قرون إذ في إحدى تنبوءاته يقول (ستقع أكثر الأراضي تحت حكم هتلر ، وفي قفـــص من الحديد سوف يسحب الرجل العظيم ، حينما لا يرقب ولا يراعى طفل المانياً شيئاً) حيث تنبأ في هذه المقطوعة بظهور هتلر حيث سماه بالاسم ، كما تنبأ بظهور نابلـــيون بالاسم ففي نبوءة أخرى يقول (ستقع الثورة في باريس عام ١٧٨٩م ، إنها نار وماء وحديد وجبل ، إن كل من ابتكر تلك الأشياء واستخدمها سيموت بها ، إلاّ واحد سينشر الخراب في العالم كله اسمه نابليون) .

ولعل النبوءة الأكثر إثارة في العالم في الوقت الحاضر هي نبوءته التي تقول:

(مـــثل ملـــك الغزاة العظام الهائل ، في عام ١٩٩٩ في الشهر السابع سيهبط ملك الفـــزع العظيم من السماء ، في هذا الزمن سيحكم مارس لصاحب قضية الحق) (فريد) ، يقول نوستر أداموس (قد وضعت تنبؤاتي للمستقبل استناداً إلى حسابات دقيقة والهام خفي وحـــيث أنني أخشى أن يتم اكتشاف العديد من الكتب التي ظلت مخفية لعدة قرون وما سيحدث عنها بعد قرائتها فقد قدمتها طعماً للنار).

ولقد حدد نوستر أداموس بنفسه طريقة وأسلوب عمله في التنبؤ فيحدث ابنه قائلاً (إنك تستطيع أن تلقي نظرة على المستقبل إذا ركزت على الأسماء والأماكن التي تنسجم مع اتصالات فلكية معينة وعن طريق الالهام توحي الأماكن والاتصالات بالأمور الخفية ، أي القوة التي تتجمع بوجودها الأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل ولهذا يا ولدي

فإنـــك تستطيع أن تدرك رغم عقلك الصغير أن الأحداث يمكن أن يتنبأ بها الإنسان عن طـــريق حـــركة الكواكب وموهبة التنبؤ وأنا لا أريد أن أدعي ما ليس لي لكنني أؤكد أن الإلهام يكشف أشياء كثيرة للإنسان التقي والقريب من الله) (فريد) .

٣- (راسبوتين) :

فلاح روسي يسكن في منطقة تعد من أقسى المناطق مناخاً في العالم إذ يسكن في سيبريا المعروفة بدرجات الحرارة المنخفضة تحت الصفر معظم أيام السنة وقد حاز معظم صـــفاته الجافـــة الخشنة من المحيط القاسي الذي كان يعيش فيه في منطقته ذات الظروف الصعبة.

إن إحدى قوى راسبوتين الجبارة هي قدرته على التنبؤ فمن نبوءاته التي أرسلها إلى القيـــصر قبل الثورة بعامين قال فيها: (بعد سنتين تماماً لن يكون لك وجود ولا لزوجتك وبعد خمساً وعشرين عاماً لن يكون في روسيا نبيل واحد أما أنا فسأموت في أول نيسان عام ١٩١٧) وهو الذي يقول (إنها لحظات صوفية أن ينسى فيها الإنسان ما حوله ومن حوله ومن هو ولا يعرف إن كان رجلاً أو امرأةً إنساناً أو حيواناً) (فريد).

٤-(بيترفان ديرهيرك):

حدث هذا في عام ١٩٤٣م فحينها كان (بيترفان دير هيرك) والذي يعمل صباغاً للمنازل يزاول عمله في صبغ واجهة أحد المنازل وهو يقف على سلم مرتفع سقط السلم فجأة من تحت قدميه ، فسقط إثر ذلك على الأرض وكانت النتيجة هي تحطم في عظام جمجمـــته وحصول إغماء مؤقت له ، وبعد مدة من الزمن أفاق من إغمائه في مستشفى (زويـــروول) في لاهاي وقد اكتشف في ما بعد بأنه قد امتلك القدرة على معرفة أحداث المستقبل للاشخاص المحيطين به (فريد)

وكمـــا اخـــتص أشخاص بالتنبؤ بشكل دائم كمهنة كان هنالك أشخاص كانت تنـــبوءاتهم وقتـــية أو مـــرحلية وقـــد تحققت رغم عدم احترافهم للتنبؤ كمهنة ومنهم

الأمثلة الآتية :

لا شك أن من أشهر الظواهر التنبؤية في القرن العشرين والتي طرحت مسألة التنبؤ على بساط البحث الجدي العميق والمصداقية التي جعلت الاعتراف بالتنبؤ مسألة لايمكن إنكارها من الجميع هي حادثة الباخرة تيتانك وهذه الحادثة تعود إلى عام ١٨٩٨م حينما ألف الكاتب الأمريكي (مورغن روبرتسون) كتاباً ذكر فيه قصة باخرة تدعى تيتانك كانت تحمل سبعين ألف طن وتنقل ثلاثة آلاف مسافر ومجهزة بثلاث محركات وطولها ثمانمائة قدم وقد غرقت في إحدى ليالي نيسان بعد ما اصطدمت وسط الضباب بقالب ضخم من الجليد ، هذه هي القصة التي ذكرها الكاتب الأمريكي عام ١٨٩٨م ولكن لنرى ما حدث فعلاً في هذا الصدد.

في عام ١٩١٢م غرقت سفينة تسمى تيتانك فيها جميع الاوصاف التي ذكرها الكاتب الأمريكي بالدقة والارقام المحددة نفسها وبنفس التفصيل التي حدثت فيه عملية الغرق وبنفس الأسباب (الموصلي) ونشير إلى حدثين شهيرين عام ١٩٧٧م نشر في أكثر صحف العالم واعتبر من أغرب وأعجب وأصدق ما حدث من تنبؤات مرصودة علمياً ، الحدث الأول هو تنبؤ طالب أمريكي بأكبر كارثة طيران في أمريكا حيث تقول الأخبار المنشورة عنه أنه توجه عدد من علماء النفس في جامعتي هارفارد وكاليفورنيا إلى مدينة درهام في كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية لاجراء دراسات نفسية على الطالب (لي فريد) الذي طلب من عميد جامعة ديوك في درهام الاحتفاظ بمظروف كتب فيه رسائل خاصة بحضور عدد كبير من أساتذة الجامعة وأغلقه على أن يفتح المغلف في تاريخ (٢٩مارس) أي بعد ثمانية أيام من تحرير الرسالة وفي نفس التاريخ فتح عميد الجامعة بحضور الأساتذة المظروف المغلف وسرعان ما أصيب الجميع بالذهول إذ كانت الرسالة التالية:

سيدي العميد : في كل مرة تشكون من إمكاناتي التي لا أعرف مصدرها وتقولون لي أن التنبؤ خرافة ، هذه المرة لن يتمكن أحد من الشك في إمكانياتي إني أتوقع أن أقرأ

يــوم الأثنين القادم ٢٩ مارس على الصفحة الأولى من صحيفة نيوزانداوبزرفر وصحف العالم برمته ما يلي: (مصرع ٥٥٣ شخصاً في حادث تصادم طائرتين بوينج ٧٤٧ في أكبر كارثة في تاريخ الطيران) وكان هذا ما ذكر بالضبط في صحف اليوم .

الحــدث الثاني : حصل في نفس العام يتعلق بتنبؤ أحد الأمريكان بحريق نيويورك حــيث قام هذا الشخص بإرسال خطاب إلى رئيس تحرير صحيفة نيويورك تايمز وطلب إلــيه أن يفــتح الخطــاب بعد يومين وعندما فتحوا الخطاب بعد يومين وجدوا أن هذا الــشخص قــد كتب يقول : (سوف تكون عناوين الصفحة الأولى من جريدتكم اليوم هكــذا :(ظلام تام في المدينة ... القبض على مئات اللصوص) وهو بالضبط ما جاء في الصفحة الأولى من صحيفة نيويورك تايمز (الموصلي).

ب – المصدر المتلقى عن الجن (الكهّان):

ومــن أشهر الأمثلة سطيح وشق الكاهنان رغم أن للباحث رأي في أن قسماً من تنبؤات هذين الكاهنين هي من المصدر الذاتي وليست عن الجن . .

(سطيح الكاهن):

اسمه الحقيقي ربيع بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن عثمان وهو مــن كهان العرب قبل الإسلام وكان يمتلك جسماً عجيباً إذ ولد وليس في جسمه عظام بل لحم وعضل فقط إلاّ الجمجمة ولكنها هي الأخرى لينة تلين عند لمسها باليد لذا كان هذا الرجل عاجزاً عن الحركة بأي شكل من الأشكال عدا حركة لسانه عند الكلام وعينه عند النظر .

أمــــا (شـــق):

فكــان كصاحبه سطيح مشوهاً ممسوخاً أيضاً إذ ولد بنصف جسم بشري واسمه الكامــل هو شق بن مصعب بن شكران بن أترك بن قيس بن عنقر بن أنمار بن ربيعة بن نزار وقد عاش هو وسطيح في عصر واحد ، وشق الكاهن في العرب العاربة وقد ذكرت

معظم أخباره في كتب التراث ومن هذه الأخبار والقصص أنه لم يكن يأكل وهذا الأمر غير مستغرب ، ففي الوقت الحاضر وجد بعض الناس ممن ساروا في رياضة اليوغا ووصلوا إلى مراحل متقدمة قد يكتفون بالقليل جداً من الطعام وذلك بسبب ترويضهم لأجسادهم وسيطرتهم عليها سيطرة شبه تامة وهم قد يأتون بأعمال تعتبر من المعجزات التي قد لايصدقها العقل ، منها أن أحدهم قد يدفن نفسه في التراب لمدة شهر أو أكثر ثم يخرج حياً حيث يستطيع أن يوقف جميع الفعاليات الحيوية في جسمه وبعضهم الآخر قد يمشي على النار الملتهبة دون أن تحرقه وغيرها من الأمور المعروفة عن هؤلاء الناس (فريد) .

(كهانة سطيح): لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربعة عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تُخمد قبل ذلك مائة عام وغاصت بحيرة ساوة ورأى الموبذان إبلاً صعاباً تقود خيلاً عِراباً ، وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها. (الموبذان للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين) اذن هو حدث لِكسرى ورؤيا منام للموبذان فوجه رجل اسمه عبد المسيح بن عمرو الغساني إلى الكاهن سطيح ، فلما وصل إليه رفع سطيح رأسه وقال : عبد المسيح على جَملٍ مُشيح (أي جاد مسرع) جاء إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح (أي شارف سطيح على الموت) بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا المؤبذان : رأى إبلاً صعاباً تقودُ خيلاً عِراباً قد أقتحمت في الوادِ وانتشرت في البلاد ، ثم قال : يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وبُعثَ صاحب الهراوة (وهو سيدنا محمد ﷺ لأنه كان يمسك العصا كثيراً عند مشيه) وفاض وادي السَّماوة وغاضَت بحيرة ساوة وخمدت نار الفرس فليست الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشّرفات وكل ما هو آتٍ آت ثم قُبضَ سطيح مكانه: (قصص العرب) .

وبالإسناد إلى البكائي عن ابن اسحق قال : كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته وفزع منها ، فبعث إلى سطيح وشق وهما كاهنان

فقــدم سطيح قبل شق ، فسأله عن رؤياه دون أن يخبره بها فقال له ما رأيت؟ فقال له سطيح : رأيت حممة (يعني قطعة نار) خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة ، فقال ما أخطأت منها شيئاً فما تأويلها ؟ فقال أحلف بما بين الحرتين مــن حنش (أي الأفعى) ليهبطنّ أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين إلى جَرش ، فقال الملــك : وأبيكَ يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن ؟ أفي زماني أم بعده ؟ قال : بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين من السنين ، ثم يُقتلون ويخرجون هاربين ، قــال : مــن يلي ذلك بعد إخراجهم ؟ قال يليه إرم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يتــرك أحداً باليمن ، قال أفيدوم ذلك ؟ قال : بل ينقطع بنبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلــي قال : ومن هو ؟ قال من ولد فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر. قال وهل للدهر من آخر ؟ قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فــيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون ، قال أحق ما تخبرني ؟ قال : نعم والشفق والغسق والفلق إذا اتسق إن ما أنبأتك به لحق . ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان ، قال : نعم رأيت حممة خرجت من ظلْمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت كل ذات نسمة ، فلما قال ذلك عرف أنهما قد اتفقا فوقع في نفسه فجهز أهــل بيــته إلى العراق (وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاد) فأســكنهم الحيرة فمن بقية ولد ربيعة بن نصر ، النعمان بن المنذر فهو في نسب اليمن : النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر (الذهبي) .

ومن الأمثلة الأخرى عن الكهانه رجال الدين الهنود ، فلو انتقلنا إلى الهند وحاولنا التعــرف على بعض أسرارها لوجدنا العجب إذ قد يكون أمر التنبؤ بأسرار المستقبل من أبسط أسرار كهنة الهنود ولنأخذ مثلاً على ذلك ، أحد البراهما الهنود وهو المدعو (براهما واجيــسوارا) حيث يتمتع بقدرة التنبؤ باخبار المستقبل كما أنه يستطيع الطيران في الهواء بعد أن يستلقي على ظهره ويغمض عينه ، وكان يأمر بعض مريديه وفي مرات عديدة بأن يدفنوه حياً تحت الأرض ولفترات تصل إلى أكثر من أسبوع وأمام أنظار الناس ثم يخرج

سليماً من تحت الأرض ، وكانت بداية حياته مترفاً إذ ولد في قصر كبير وتلقى تعليمه في إحدى الكليات المخصصة لأولاد الملوك والأمراء في أنكلترا إذ أن والده كان من سلالة ملوك الهند القدماء ، حينما عاد إلى الهند خلع بدلته وهجر قصره وزوجته وهام في الجبال والغابات حافياً عارياً لاتستر جسده إلاّ خرقة وأصبح من طبقة فقراء الهنود ، ومن قدراته إبطـاء العملـيات الحياتية البايولوجية لديه ففي إحدى المرات غطس في بئر لمدة خمس وأربعين دقيقة أمام أنظار السياح ثم خرج ففسر الدليل المرافق للسياح ذلك إلى أن المرء حينما تبطئ جميع عمليات الحياة البيولوجية فإنها لاتحتاج من الاوكسجين إلاّ قدراً يسيراً أقل مما تحتاجه حشرة (فريد) ، يقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب) واصفاً الكهان (أدعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة ، ثم يصف نوعاً آخـر من هؤلاء المتنبئين فيقول : وصنف منهم ادعى أن الأرواح المنفردة -وهي الجن- تخبرهم بالأشياء قبل كونها ، وأن أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت وتلك الأرواح من الجن متفقة) (المسعودي) ، ومن أشهر الأدلة على اتصال الجن أو الشياطين بالكهان مـا ورد عن مصرع العزّى في قصص العرب :كانت العزّى شيطانة تأتي ثلاث سَمراتٍ (نوع من الشجر) ببطن نخلة (قريبة من المدينة) فلمّا افتتح النبي ﷺ مكة بعث خالد بن الولـيد فقال له : إيتِ بطنَ نخلة فإنك تجد ثلاثة سَمراتٍ فاعضد (أي فاقطع) الأولى : فأتاها فعضدها فلما جاء إليه عليه السلام قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال لا ، قال : فأعضد الثانـية : فأتاها فَعضدَها ، ثم أتى النبي عليه السلام ، فقال : هل رأيت شيئاً ؟ قال :لا : قال : فاعضد الثالثة : فأتاها ، فإذا هو بحبشية نافشةً شعرها ، واضعة يدها على عاتقها ، تَـصرِف (تصوت) بأنيابها ، وخلفها دُبَيّة بن حَرَميّ الشّيباني وكان سادنها فلما نظر إلى خالد قال:

أعـزاءُ شُـدّي شـدّةً لا تُكـذّبي ... علـى خالـد ألقي الخمارَ وشَمِّري
فإنـك إلاّ تَقتُلـي الـيوم خالـداً ... تبوئـي بِـذُلٍّ عـاجلاً وتَنَـصَّري

فقال خالد:

يـــا عِـــزُّ كفَـــرانكِ لاسُـــبحانَكِ إني رأيـــتُ اللَّـــه قـــد أهانَـــكِ

ثم ضَـــربها ففلـــق رأســـها فـــإذا هي حُمَمَة (الحمم الفحم) ثم عَضَدَ الشجرة ، وقـــتل دُبَـــيّة الـــسّادن ، ثم أتـــى الـــنبي ﷺ فأخبره ، فقال : (تلك العُزّى ولا عُزّى بعـــدها للعـــرب : أمـــا أنهـــا لـــن تُعبد بعد اليوم) (قصص العرب) ، ولقد استوقفت نـــبوءات الكهـــان عـــرب مـــا قبل الإسلام فكان تأثير الكاهن مطلقاً في نفس وفعل العـــربي قـــبل الإســـلام ، بل أن تأثير الكهان استمر حتّى فجر الإسلام وحتّى سُئِـــل رَســـول اللَّـــه ﷺ عـــن الكهـــان ونبوءاتهم الصادقة المتحققة فقال صلوات اللّه عليه وســـلامه : إنهـــم ليـــسوا بـــشيء ، ومن خلال الأحاديث النبوية الشريفة الآتية يتضح لـــنا أن مـــصدر التنـــبؤ من خلال الاتصال بالجن يتضمن تحقق النبوءة الواحدة ولكن يُخلـــط معهـــا مـــئة كذبـــة وبذلك يسقط الاعتماد على كل نبوءات العرافين القدماء والمعاصـــرين ، (قالـــت عائـــشة رضـــي اللَّـــه عنها سأل أناسٌ النبي ﷺ عن الكهان فقـــال إنهـــم ليـــسوا بشيء فقالوا يا رسول اللّه فإنهم يُحَدّثون بالشيء يَكونُ حَقاً قال فقـــال الـــنبي ﷺ تلـــك الكلمة من الحق يَخطفُها الجِنّي فيقَرقرُها في أُذُنِ وَليّه كَقرقرَة الدّجاجة فيخلطون فيه أكثر من مائةِ كذبةٍ) (أخرجة البخاري) (فتح الباري).

(عـــن عـــروة بـــن الـــزبير عن عائشة رضي اللّه عنها أنها قالت : سمعت رسول اللَّـــه ﷺ يقـــول : إن الملائكـــة تـــنزل في العـــنان (وهو السحاب) فتذكر الأمر قُضي في الـــسماء فتـــسرق الـــشياطين الـــسمع فتـــسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائـــة كذبـــة مـــن عـــند أنفسهم) (أخرجه البخاري) (فتح الباري).(عن عائشة رضي اللَّـــه عـــنها عـــن الـــنبي ﷺ قـــال : إن الملائكة تتحدث في العنان (والعنان الغمام) بالأمـــر يكـــون في الأرض فتـــسمع الـــشياطين الكلمة فتقرّها في أذن الكاهن كما تقرُّ القارورة فيزيدون معها مائة كذبة) (أخرجه البخاري) (فتح الباري) .

جـ-المصدر الثالث الأحلام والرؤى:

يعد هذا المصدر من أهم المصادر المتاحة للتعرف على أحداث المستقبل أو الاقدام على عمل أو الإحجام عنه أو البشارة بفتح علمي أو فرج أو رزق أو كرامة ولا نستطيع أن نحصي الأمثلة العديدة للرؤى الصادقة التي تحققت والتي رآها البشر عبر العصور وإلى يومنا هذا ، ولكننا سنتناول بعض الأمثلة للدلالة مع الإشارة إلى اعتمادنا التفسير الإسلامي في التمييز بين الرؤيا وهو ما تتحقق رؤيته في المنام وبين الحلم وهو ما نراه في المنام ولا يتحقق في اليقظة وأشهر الأمثلة على الرؤيا الصادقة ما ورد في كتاب الله المجيد في سورة يوسف فقال تعالى :

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف:٤) وتم تحقيق الرؤيا في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...) (يوسف:١٠٠) ، ونلاحظ هنا أن النص القرآني يشير إلى الرؤيا (رؤياي) لا الحلم . وقال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف:٣٦)

وتم تحقيق الرؤيا ، قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف: ٤١) ، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾ (يوسف:٤٣-٤٤) .

ونلاحظ هنا الفرق الواضح بين الرؤيا للملك وتخفيفها على الملك من قبل الملأ وهم كبار قومه بأن قالوا له أن هذا حلم وليس رؤيا فما رأيته باطل وهو أضغاث أحلام ،

ولكن يوسف عليه السلام ، أوّل رؤيا الملك ، قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف:٤٧-٤٩) وتم تحقيق الرؤيا .

والحديث النبوي الشريف يفرق بين الرؤيا والحلم فالرؤيا من اللّه وهي من المبشرّات وهي متحققة في اليقظة ، والحلم من الشيطان فمن استعاذ باللّه منه فإنه لا يضره ولا يتحقق، قال ﷺ: (الرؤيا من اللّه والحلم من الشيطان فإذا حَلَمَ أحدكم حُلماً فليبصق عن يساره وليتعوّذ باللّه من شرّها فإنها لاتضرّه) (أخرجه البخاري)(فتح الباري).

(عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءً من النبوة) (أخرجه البخاري) (فتح الباري).

(عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: الرؤيا من اللّه والحلمُ من الشيطان)(أخرجه البخاري)(فتح الباري) .

(عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : إذا رأى أحدكم رؤيا يُحبها فإنما هي من اللّه فليحمد اللّه عليها وليتحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك ممّا يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحدٍ فإنها لاتضره)(أخرجه البخاري)(فتح الباري) .

(وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : لم يبقَ من النبوة إلاّ المبشرات ، قالوا : وما المبشرات : قال : الرؤيا الصالحة) (أخرجه البخاري) .

(عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثّل الشيطان بي ، قال أبو عبد اللّه ، قال ابن سيرين : إذا رآه في صورته) (أخرجه البخاري)(فتح الباري).

(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إذا اقترب الزمان لم تَكد تكذبُ رؤيا المؤمن ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءً من النبوة ، قال محمد وأنا أقول هذه ، قال : وكان يُقال الرؤيا ثلاث حديث النفس وتخويف الشيطان وبشرى من الله) (أخرجه البخاري)(فتح الباري) .

عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

الرؤيا ثلاث فرؤيا حق ورؤيا يحدّث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان) (أخرجه مسلم).

ومن أشهر وأصدق الرؤيا رؤيا النبي ﷺ قبل البعثة حيث كانت تأتي مثل فلق الصبح ، ففي الحديث (عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : أول ما بُدئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح)(أخرجه البخاري)(فتح الباري) .

ومنها رؤيا رسول الله ﷺ وفيها (ناس من أمتي عرضوا علي غزاةً في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرّة ، أو مثل الملوك على الأسرة (شكّ إسحق) قالت (أم حرام بنت ملحان) يا رسول الله أدعُ الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله ﷺ فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فَصرعَت عن دابتها حين خرَجت من البحر فهلكت) (أخرجه البخاري)(فتح الباري) .

ومن الرؤى الصالحة المشهورة أيضاً رؤيا عبد المطلب بن هاشم والتي استدل من خلالها على موضع بئر زمزم ، قال عبد المطلب بن هاشم : (إني لنائم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال : أحفر طيبة ، قلت: وما طيبة ؟ فذهب عني ، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر بَرَّة ، فقلت : وما برّة ؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : أحفر المضنونة ، فقلت : وما المضنونة ؟ فذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر زمزم إنك إن حفرتها لا تندم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : لا تُنزَفُ أبداً ولا تُذَم

تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرثِ والدم عند نُقرةِ الغُرابِ الأعصم ، عند قرية النمل (ابن كثير) .

أما رؤى الصالحين فهي عديدة وقد يرى الرجل الصالح في منامه اللّه عزّوجل أكثر من مرّة فمن مأثورات الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه اللّه أن الإمام أبا حنيفة قال : رأيت ربّ العـزة في المـنام تسعاً وتسعين مرّة فقلت في نفسي إن رأيته المائة لأسألنه بمَ ينجو الخلائـق من عذابه يوم القيامة ؟ قال : فرأيته سبحانه وتعالى فقلت : يا رب عَزَّ جارك وجَلَّ ثناؤك بِمَ ينجو عبادك يوم القيامة من عذابك ؟ فقال سبحانه وتعالى : ينجو من قال بعد الغداة والعشي :

سبحان الأبدي الأَبَد ، سبحان الواحد الأحد
سبحان الفرد الصمد ، سبحان رافع السماء بغير عمد
سبحان من بسط الأرضَ على ماءٍ جَمدَ ، سبحان من خلق الخلق فأحصاهم عدد
سبحان من قسّم الأرزاق فلم ينسَ أحد ، سبحان الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولد
سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد
لا إله إلاّ اللّه . (تنوير الاذهان)

وكـثيراً مـا كانت الرؤيا سبباً لفتح علمي للعلماء ، فمن الحالات المعروفة لدى الكـثيرين حـالات تثبت أن البعض من الناس قد توصلوا إلى بعض الحقائق المجهولة أثناء الـنوم فقد يهتدي الإنسان أثناء نومه إلى حلول مدهشة لبعض المشاكل يعجز عن إيجاد الحل لها أثناء صحوه أو في حالة يقظته ، فمما يروى في هذا الصدد أن دواء (الأنسولين) المـستعمل في علاج مرض السكر اكتشفه العالم الكندي (فردريك أغرانت) نتيجة رؤيته لرؤيا شاهدها أثناء النوم ، وبعد عودة هذا العالم إلى داره بعد سماعه محاضرة علمية تبحث في مـرض الـسكر عند الإنسان ، فشاهد الحلم عند نومه ومن حُسن حظه أو لنقل من حـسن حظ البشرية أنه استيقظ من نومه ودوّن بعض المعلومات والملاحظات في دفتر ملاحظاته وفيما بعد كانت هذه الملاحظات بمثابة الركيزة في طريق اكتشافه لهذا المرض

واكتشاف الأنسولين كدواء له وإنقاذ الملايين من البشر بواسطته وقد نال هذا العالم جائزة نوبل في عام (١٩٢٣) .

أما اختراع ماكنة الخياطة فقد دوّن مخترعها أنه شاهد رؤيا وجد نفسه فيه محاطاً بعدد من الناس يحاولون قتله بواسطة حراب مثقوبة بثقوب تقع في رأس الحربة وبعد أن استيقظ فكر في معنى الرؤيا قليلاً فعرف أنه اهتدى إلى تصميم ما عجز عن تصميمه لمدة طويلة إنه تصميم إبرة ماكنة الخياطة التي تشبه الحراب المثقوبة من رأسها (فريد) .

ولو رجعنا إلى كتب التراث العربي لوجدنا العديد من القصص والحكايات منها الرؤيا التي رآها المعتضد حينما كان في السجن قبل توليه الخلافة العباسية حيث كان أبوه قد سجنه ، تقول القصة أنه بينما كان نائماً في سجنه رأى كأن شيخاً مهيباً يجلس على ساحل دجلة ، يمد يده إلى الماء فيصير الماء في يده وتجف دجلة ، ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت ، يقول المعتضد فسألت عنه فقيل لي علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقمت إليه وسلمت عليه فقال لي يا أحمد أن هذا الأمر صائر إليك (يقصد الخلافة) فلا تتعرض لولديّ وصنهم ولا تُؤذهم فقلت : السمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين .

والرواية المشهورة عن عطار في الكرخ مشهور بالأمانة والصدق خسر رأس ماله وفي النوم رأى النبي ﷺ في منامه وهو يقول له : أقصد علي بن عيسى (وكان وزيراً في عصره) فقد أمرته أن يدفع لك أربعمائة دينار فخذها وأصلح بها أمرك ، وبعد تردد ذهب الرجل إلى باب الوزير فلقيه أحد معارفه يقول له أين كنت مختبئاً الوزير يبحث عنك منذ الأمس فأدخلوه على الوزير فقال له : والله ما تهنأت بعيش منذ البارحة ، فإن رسول الله ﷺ جاءني البارحة في منامي فقال : أعط فلان ابن فلان العطار من أهل الكرخ أربعمائة دينار يصلح بها شأنه ، فقال العطار : إن رسول الله ﷺ جاءني البارحة فقال لي مثل ما قال لك عند ذلك بكى الوزير علي بن عيسى وقال : أرجو أن تكون هذه عناية من رسول الله ﷺ بي (فريد).

ومـــن الرؤى المعاصرة نسبياً ما يروى عن المرحوم محمود آغا الزيباري أنه رأى رســـول الله ﷺ لـــثلاث لـــيالٍ يأمره فيها بحماية رجل من أهل دهوك مطارد من قبل السلطات في حينها وهو السيد سليم آغا وتصديقاً للرؤيا فإن السيد سليم آغا أيضاً رأى الرسول ﷺ يقول له : اقصد محمود آغا الزيباري . ومن الرؤى المعاصرة أيضاً ما يروى عن الملا حسن البزاز (ت ١٣٠٥هـــ) حيث كان قد كتب قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأخفاها وقال : يا رب إن قبلتها مني فأظهرها ، وبعد مدة وجيزة يلتقي بأحد الصالحين من معارفه ليقول له: لقد رأيت رؤيا عجيبة رأيت قبر النبي صلى الله عليه وســـلم وقـــد كتب عليه بيت شعر حفظته ، فإذا هو مطلع قصيدة الملا حسن البزاز . ويروي السيد عبد القادر بن محمد النوري في مخطوطه الذي جمعه (١٢٨٠هـــ) عن الشيخ عـــبد الله أفندي العمري يقول : ومما بلغنا عن شيخ العلماء عبد الله أفندي العمري أنه قـــال : كنت ذات ليلة وأنا حدث السن أتعلم مع أمثالي وأحقق البحث في مسائل علمية حـــتى مـــضى شطر من الليل فقمت ورجعت إلى داري فرأيت رجلين واقفين في الطريق يتحدثان سراً فوقفت على بعد منهما حتى يمران فأعرفهما ، فافترقا ومرا بي وتقرب الي أحدهما وقال لي : مالك تتجسس علينا ، أما علمت أن الله تعالى يقول ﴿ولا تجسسوا﴾ ثم مـــضى في ســـبيله ، فأتيت داري وأنا متعكر مما قال لي فرأيت في منامي كأن طارقا يطرق على باب داري فخرجت وفتحت الباب فإذا برجل ضخم طويل القامة على رأسه عمامـــة مرخياً طرفيها على كتفيه فقال لي وهو غضبان : ما لك لم تجب الشخص الذي اتهمك بالتجسس ؟ فقلت له : اخجلني فلم أجبه ، فقال : اذهب إليه صباحاً وقل له ما كـــنت واقفاً لأتجسس عليكما ولكنكما كنتما تغتابان وقال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعـــضا﴾ فقلـــت له من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا جدك عمر بن الخطاب فقبلت يده وانـــصرف فاســـتيقظت من النوم وذهبت إلى ذلك الرجل صباحاً وقصصت عليه القصة فقـــال : مـــن أخبرك ؟ قلت : أخبرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاعترف بذلك وطلب العفو .

د-المصدر الرابع الالهام الرباني:

والالهام الرباني للأنبياء يكون وحياً وللأولياء يكون فراسةً أو حكمةً يقذفها اللّٰه في قلب العبد المؤمن ، فالإخبار عن المستقبل من خلال الوحي للأنبياء شواهده كثيرة جداً حتى أن رسول الله ﷺ أخبر أصحابه رضوان اللّٰه عليهم عن بدء الخلق حتى قيام الساعة في حديث استغرق نهاراً .

(عـــن طـــارق بن شهاب قال سمعت عمر رضي اللّٰه عنه يقول: قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه) (أخرجه البخاري)(فتح الباري) .

(وعن حذيفة رضي اللّٰه عنه قال : لقد خطبنا النبي ﷺ خطبةً ماترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلاّ ذكره عَلِمَهُ من عَلِمَهُ وجَهِلَهُ من جَهِلَهُ ، إن كنت لأرى قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل الرّجلَ إذا غاب عنه فعرفه فرآه)(أخرجه البخاري) (فتح الباري).

ورد في صـــحيح مسلم (قال عروة بن ثابت حدثنا علباء بن أحمد حدثنا أبو زيد قـــال : صلىّ بنا رسول اللّٰه ﷺ الفجر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نـــزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتىّ أظنّه قال : حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ثم صعد فخطبنا حتى غروب الشمس قال : فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأحفظنا أعلمنا) (رواه مسلم) (المصدر السيرة النبوية للذهبي) .

وهـــذا الحديث يعد المرجع لجميع أحاديث الفتن وأشراط الساعة المتضمنة ظهور المسيح الدجال والدابّة وظهور المسيح عليه السلام وفتح ردم يأجوج وماجوج وغيرها كـــثير حفلـــت بها كتب السيرة وكتب الحديث ومنها: (وعن عوف بن مالك الأشجعي قـــال : أتيت رسول اللّٰه ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال لي : ياعوف أعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان (أي وباء) يأخذ فيكم كقعاص الغـــنم ، ثم استفاضة المال فيكم حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا

يبقى بيت من العرب إلاّ دخلته ، ثم هدنة بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية (يعني راية) تحت كل غاية إثنا عشر الفاً)(أخرجه البخاري)(فتح الباري) .

(وعن جابر بن سَمُرة عن النبي ﷺ قال : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتُنفقُنَّ كنوزهما في سبيل اللّه) (أخرجه البخاري)(فتح الباري) .

(حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: أخبرني جدي قال: كنتُ جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ومعنا مروان ، قال أبو هريرة رضي اللّه عنه : سمعت الصادق المصدوق يقول هلكةُ أمّتي على يَدي غِلمَةٍ من قريش ، فقال مروان لَعنَة اللّه عليهم غِلمةً ، فقال أبو هريرة لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا : عسى أن يكون منهم ، قلنا: أنت أعلم) (أخرجه البخاري) (فتح الباري).

وقوله ﷺ: (صنفان من أهل النار لم أرهما (أي في عصره ﷺ) قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مُميلات مائلات رؤسهنّ كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا) (أخرجه مسلم في صحيحه) .

وحديثه ﷺ في إخباره فاطمة رضي اللّه عنها بأنها ستكون أول اللاحقين به ، (قال الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي اللّه عنها : حدثتني فاطمة (رضي اللّه عنها) أن رسول اللّه ﷺ أسرَّ إليّ أنّكِ أوّل أهل بيتي لحوقاً بي ونَعِمَ السلَفُ أنا لك) متفق عليه (الذهبي) .

وإن الإلهام الرباني المتمثلّ بالوحي كان دليل عمل للأنبياء ومصدر اطمئنان وامتثال لأمر اللّه فمنها ما أخبر به القرآن الكريم بأنّ اللّه عاصم نبيّه فلا يمكن اغتياله مهما دبرّ

أعداؤه من مكائد ، فهذا البلاغ الربانيّ نجد تطبيقه في تصرف رسول اللّه ﷺ الفوري مع نـــزول الآية الكريمة: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ حيث كان النبي ﷺ يُحرَس قبل نزول هـــذه الآية حتّى نزلت فقال : أيّها الناس انصرفوا فقد عصمني اللّه ، ونجد أثر ذلك في مواقف الرسول ﷺ بعد هذه العصمة.

فالـــنبي ﷺ في (معركة أُحُد) كان أقرب المسلمين إلى العدو حتى قال علي بن أبي طالب كرم اللّه وجههُ (كنا إذا حمي الوطيس احتمينا برسول اللّه فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه) .

وفي غـــزوة حـــنين حـــين انكـــشف المسلمون يُركّض رسول اللّه ﷺ بغلته إلى المشركين والعَباس آخذٌ بلجامها يكُفّها إرادةَ ألاّ تُسرع فأقبل المشركون إلى الرسول ﷺ فلمّـــا غَشوه لم ينكص بل نزل عن بغلته كأنما يمكّنهم من نفسه وهو يقول (أنا النبيّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب) كأنّما يتحداهم فو اللّه ما نالوا منه نيلةً بل أيّده اللّه بجنوده.

وفي غـــزوة ذات الرقاع : ينزل الرسول ﷺ تحت شجرة ويعلق سيفه فيها فيأتيه رجـــل مـــن المـــشركين فيأخذ السيف ويقول للنبي ﷺ أتخافني ؟ فيقول : لا ، فيقول الرجل : وما يمنعك مني ؟ : فيجيب : اللّه يمنعني منك ضع السيف ، فلا يملك الرجل إلاّ أن يضع السيف ، وبعض الروايات تقول أن الرجل أعلن إسلامه (أحمد فتحي) .

بـــل أن الإلهـــام الرباني لرسوله ﷺ يتجاوز الأحداث الكبرى إلى أحداث ووقائع صغرى منها ما حصل في صلح الحديبية وإخباره للامام علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه أنّـــه ســـيتعرض لنفس شروط الصلح فيقبل وهذا ما حصل في موقعة صفين ، ففي صلح الحديبية : حتى أن الإمام علياً رضي اللّه عنه لما جاء يكتب العهد يقول هذا ما تعاقد عليه محمـــد رسول اللّه فيعترض سهيل بن عمرو ويقول : أكتب هذا ما تعاقد عليه محمد بن عـــبد اللّـــه ، قال الرسول ﷺ أكتب هذا ما تعاقد عليه محمد بن عبد اللّه ، فالإمام علي رضـــي اللّه عنه تأخذه العزة ويقول : كيف لا أقول رسول اللّه ؟ ورسول اللّه يقول له : أكتـــبها كـــذا ، ويقول الإمام علي: لا أمحو رسول اللّه ويقول رسول اللّه ﷺ : أمحها ،

ويقول الإمام : لا أمحي رسول الله فالنبي عليه الصلاة السلام من إعلامات نبوته يضحك ويقـــول له ستُسام مثلها فتقبل . أي ستُسام مثل هذه الكلمة والموقف فتقبلها أنت فتأتي الواقعة في موقعة صفين عند كتابة العهد فيكتب هذا ما تعاقد عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين : فيقال له : لو كنا نعترف أنك أمير المؤمنين ما كنا قاتلناك ولكن قل : هذا ما تعاقد عليه علي بن أبي طالب ، فقبل الإمام بذلك (الشعراوي) .

وأثــر ذلــك خرج على الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجههُ ثمانية الآف من جيــشه بقــولهم : انــسلخت من قميص ألبسكه الله واسم سماك به الله ، فبعث إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وحاجّهم بما وقع في صلح الحديبية فرجع منهم أربعة الآف كلهم تائب (ابن كثير).

وِعلم رسول الله ﷺ انتقل إلى صحابته رضوان الله عليهم إما ببركة وفيض ربّاني كما في علوم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابه) (رواه الطبراني)(ابن كثير) . وعلوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أنه كان فــيما مــضى قبلكم من الأمم محدثون فإنه إن كان في أمتي هذه فهو عمر بن الخطاب) (أخرجه البخاري ومسلم) والمحدث هو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به فراسةً وعلوم تــرجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما لدعوى رسول الله ﷺ له. ويقول ابن عباس في علوم الصحابة عن الإمام علي كرم الله وجهه : لقد أُعطي علي تسعة أعشار العلم وأَيمُ اللّــه لقــد شاركهم في العشر العاشر ويقول سعيد بن المسيّب ، ما كان أحد من الناس يقول : سَلوني ، غير علي بن أبي طالب (ابن كثير) .

وقد يكون انتقال العلم والاخبار بالمستقبل من رسول الله ﷺ تعلماً كما في علوم أبي هريــرة رضــي اللّـــه عنه ولكنه لم يُخول بالتصريح عن التفاصيل الدقيقة فنجد في الحديث : (سمعت الصادق المصدوق يقول هلكة أمتي على يَدي غِلمةٍ من قريش ، فقال مروان : لعنة الله عليهم غِلمة ، فقال أبو هريرة : لو شئت أن أقوَل بني فلان وبني فلان لفعلت...) (أخرجه البخاري).

والحديث المشهور الذي أخرجه البخاري في كتاب العلم (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم)(أخرجه البخاري)(فتح الباري) .

والأمثلة كثيرة عن الإخبار المستقبلي لصحابة رسول الله ﷺ وهي من باب الكشف والعلم فمنها مثل إخبار عمر رضي الله عنه بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً وإخبار أبو بكر رضي الله عنه بأن ببطن زوجته أنثى وغيرها كثير (المعجزة وكرامات الأولياء) ويقول ابن كثير أن معنى الفراسة هو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس وهذا التعريف بحسب ما دلّ عليه ظاهر الحديث (إتقوا فراسة المؤمن) فالفراسة إذن هي معرفة بطون الأمور من ظواهرها .

ولعل من أشهر قدرات التنبؤ من خلال الالهام الربانيّ هو دعاء الاستخارة فإذا هَمَّ المسلم بأمر دعى بدعاء الاستخارة فيجد بعد الدعاء أن قلبه قد ارتاح لهذا الأمر الذي ينوي القيام به أو شعر بإنقباض نحوه وقد يرى رؤيا منام ترشده إلى صلاح الأمر من عدمه وقد يستخدم الدعاء أيضاً لاختيار أمر من أمرين ودعاء الاستخارة ثابت ومجرب وحديثه رواه البخاري .

(قال النبي ﷺ إذا هَمّ أحدَكمُ بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إنيّ أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلَمُ ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر (وتسميه) خيراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهمّ وان كنت تعلمُهُ شراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير حيثُ كان ثم رَضنّي به ولا حول ولا قوة إلاّ بالله) . (رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه) .

والإلهـــام الربّاني كما هو للبشر فهو للملائكة أيضاً فالملائكة تعلم أيضاً أحداث المـــستقبل جُملـــةً لا تفـــصيلاً وبحسب ما ألهمهم الله ودليلنا في ذلك حديث الإسراء والمعـــراج وفـــيه (فانطلقت مع جبريل فلمّا جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن الـــسماء افتح ، قال من هذا ؟ قيل جبريل قيل ومن معك ، قيل محمد ، قيل وَقد أرسل إلـــيه؟ قال : نعم ، قيل مرحباً ولنعم المجيء جاء ...) (أخرجه البخاري) (فتح الباري) ، فالحديث النبوي الشريف يوضح لنا أن الملائكة مطلعة على التفاصيل الاجمالية فتعلم أن الله سيرسل محمداً ﷺ رحمة للعالمين ولكنها تجهل موعد الإرسال لذا فإنها عندما سألت عن رفيق جبريل الامين فقيل لهم : محمد ، لم تسأل ومن محمد ؟ لأنها تعلم أنهّ رسول الله ولكنها تجهل موعد إرساله أو بداية بعثته لذا سألت : وقد أرسل إليه ؟ .

أما الإلهام الربانيّ لأهل الكتاب فكان من خلال الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن الكريم فالتوراة والإنجيل والقرآن الكريم مصدرها واحد وهو الله تعالى وهدفها واحد وهو إصلاح الناس ليعبدوا الله عزّ وجل ولعل من أشهر التنبؤات لهذه الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم التنبؤ بظهور محمد ﷺ حيث ذكر القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام قد بـــشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَـــدُ﴾ (الـــصف: ٦). وفي التوراة ما جاء في السفر الخامس (جاء الله من طور سيناء وأشـــرق من سيعير واستعلن من جبال فاران) يريد الإخبار عن إنزال التوراة على موسى علـــيه السلام بطور سيناء والإنجيل على عيسى عليه السلام بسيعير فإنه كان يسكن من سيعير بقرية تسمى ناصرة وإنزال القرآن على محمد ﷺ بمكة فإن (فاران) جبل من جبال مكـــة وهـــذا مـــا ذكر في التوراة أن إسماعيل (عليه السلام) أقام ببرية فاران يعني بادية العرب .

وفي الانجيل ورد في الإصحاح الرابع عشر :(انني أطلب لكم إلى أبي حتى يمنحكم ويعطيكم فارقليطا ليكون معكم إلى الأبد) فقوله (ليكون معكم إلى الأبد) يفيد بأنه بهذا النبي تختم النبوة فتكون شريعة عامة لايحتاج الناس بعدها إلى نبي .

وفي الإصـحاح السادس عشر: (أقول لكم الآن حقاً ويقيناً : إن انطلاقي عنكم خـير لكم فإن لم أنطلق عنكم إلى أبي لم يأتكم الفارقليط) وذكر الشيخ رحمة اللّه الهندي في كـتابة (إظهـار الحق) أن الفارقليط تعني عندهم (المعزّي والمعُين والوكيل والشافع) وأصـل الكلمة باليونانية بير كلوطوس، وسأل الشيخ عبد الوهاب النجار صاحب كتاب قصص الأنبياء المستشرق الإيطالي كارلونينو عن كلمة (بيركلوطوس) الواردة في الأناجيل فأجابـه : أن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها المعزّى فقال له : إني أسأل الدكتور كارلونينو الحاصل على الدكتوراه في أداب اللغة اليونانية القديمة فقال إن معناها : الذي له حمد كثير فسأله أيضاً : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من الفعل (حَمِدَ) فقال : نعم (من كـتاب الرسـول لـسعيد حوّى) (وأفعل التفضيل من الفعل (حمد) هو (أحمد) ، ومن المعروف أن أهل الكتاب كانوا ينتظرون النبي ﷺ لذلك عندما وصل كتاب النبي ﷺ إلى النجاشـي أسـلم وقال :(أشهد بالله أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب) (أصول الدين الإسلامي) .

والالهـام الـرباني لأهـل الكتاب لم يتعلق بالإخبار اللفظي فحسب بل بالتشبيه الـصوري أيضاً ففي التاريخ الكبير للإمام البخاري نجد : عن جبير بن مطعم قال : لما بَعَث اللّه نبيه ﷺ وظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام ، فلمّا كنت ببصُرى أتتني جماعة من النـصارى فقالوا لي : أمن الحرم أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم ؟ قلت : نعم ، فأدخلوني ديراً لهم فيه صور فقالوا : أنظر هل ترى صورته ؟ فنظرت فلم أر صـورته ، قلـت :لا أرى صـورته ، فأدخلوني ديراً أكبر من ذاك فنظرت وإذا بصفة رسول اللّه ﷺ وصورته وبصفة أبي بكر وصورتة وهو آخذ بعقب رسول اللّه ﷺ ، فقالوا لي : هل ترى صفته ؟ قلت نعم قالوا : هو هذا ؟ قلت : اللهم نعم أشهد أنه هو ، قالوا : أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه ؟ قلت : نعم ، قالوا نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة مـن بعده (رواه البخاري) في تاريخه عن محمد غير منسوب عن محمد بن عمر بن سعيد

أَخصر من هذا (زاد الإمام البخاري في التاريخ الكبير ، قال انه لم يكن نبي إلاّ كان بعده نبي إلاّ هذا النبي) (الذهبي).

ومن الروايات المشهورة أيضاً بشارة بحيرى الراهب لأبي طالب عم النبي ﷺ وبشارة سيف بن ذي يزن وكان معتنقاً للديانة المسيحية حيث بشر عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ بنبوة حفيده أحمد إستناداً إلى الكتاب السماوي والعلم المخزون لديه ونقرأ الرواية : لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة أتى وفود العرب : خطباؤها وأشرافها وشعراؤها لتهنئته ومدحه ، وقدم إليه وفد قريش وفيه عبد المطلب بن هاشم ، فأرسل الملك إلى عبد المطلب فأخلاه وأدنى مجلسه وقال : يا عبد المطلب إني مفضٍ إليك من سرّي وعلمي ما لو كان غيرك لم أَبح له ، ولكني رأيتك مَعدِنَهُ فأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن اللّه فيه ، فإن اللّه بالغٌ أمرَه ، إنيّ أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة وهو للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة ، قال عبد المطلب : ايّها الملك فمثلك من سَرَّ وبرَّ فما هو فِداك أهلُ الوبرَ زُمَراً بعد زُمر قال : إذا ولد بتهامة غلام بين كتفه شامة ، كانت له الاِمامة ولكم بهِ الزّعامة إلى يوم القيامة ثم قال : نبي هذا حينهُ الذي يولدُ فيه أوقد وُلد اسمه أحمد يموت أبوه وأمه ويكفله جدّه وعمّه والله باعثه جهاراً ، وجاعل منّا له أنصاراً يُعزُّ بهم أولياءه ويُذلُّ بِهم أعداءه ويُكسّر الاوثان ويخمد النيران ويعبد الرحمن ويزجر الشيطان ، قولهُ فصل وحُكمُهُ عَدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله ، ثم قال ، والبيت ذي الحُجُب والعلامات والنُّصُب إنك يا عبد المطلب لجده غير الكَذِب ، فخرَ عبد المطلب ساجداً ثم رفع رأسه وأخبره بميلاد محمد ﷺ وموت أبويه والشامة بين كتفيه، قال ابن ذي يزن : إن الذي قلت لَكَما قلت : فاحتفظ بابنك وأحذر عليه من اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل اللّه لهم عليه سبيلا ، والله مظهر دعوته وناصر شيعته ، فاطو ما ذكرتُه لك دون هؤلاء الرهّط الذين معك ، فأني لستُ آمن أن تُداخِلهم النَّفاسة ، من أن تكون لك الرياسة فيبغون له

الغـــوائل وينـــصبون له الحبائل وهم فاعلون ذلك أو ابناؤهم ، ولولا أني أعلم أن الموت يجتاحني قبل مبعثه لسرتُ بخيلي ورَجلي حتى أصير بيثرب دار مُلكه فأكون أخاه ووزيره وصـــاحبه وظهيره فإني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون أن في يثرب استحكام أمـــره وأهـــل نُصرته وارتفاع ذكره وموضع قبره ولولا الذّمامة لأظهرت أمره وأوطأتُ العـــرب كَعـــبَه على حداثة سنّه ، ولكني صارف ذلك إليك عن غير تقصير بك (ابن كثير).

ومـــن الروايات المشهورة أيضاً عن علم أهل الكتاب من اليهود ما روى في بعثة الرســـول ﷺ كان أبو سفيان يجلس إلى حبر من أحبار اليمن ، فقال له اليهودي: ما هذا الخـــبر الـــذي يبلغني ؟ قال: هو ما سمعت ، قال: أينَ فيكم عمّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صَدَقوا وأنا عمّه ، قال اليهودي : أأخو أبيه؟ قال : نعم ، قال : حـــدّثني عنه ، قال لا تسألني فما كنتُ أحسب أن يدّعى هذا الأمر أبداً ، وما أحِبُّ أن أعيـــبَه وغيرهُ خيرٌ منه ، قال اليهودي : فليس به أذىً ولا بأس على يهود وتوراة موسى منه .

قال العباس : فتأدى إليّ الخبر فحَميتُ وخرجت حتى أجلس إلى ذلك المجلس من غدٍ وفيه أبو سفيان والحبر ، فقلت للحبر : بلغني أنكّ سألت ابن عميّ هذا عن رجلٍ منا يـــزعم أنهّ رسول الله فأخبرك أنهُ عمّهُ وليس بِعمّه ولكنه ابن عمّه ، وأنا عمّه أخو أبيه ، فقـــال : أأخو أبيه؟ قلت : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : أصدق ؟ قال : نعم صـــدق ، قال فقلت : سلني عنه ، فإن كذبت فليردد عليّ . فأقبل عليّ فقال : أنشدك الله ، هل فشت لابن أخيك صبوةٌ أو سفهَةٌ ؟ قلت : لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان وكان اسمهُ عند قريش الأمين ، قال : فهل كتب بيده ؟ قال العباس : فظننتُ أنّه خيرٌ لـــه أن يكـــتب بيده فأردت أن أقولها ثم ذكرت مكان أبي سفيان وأنّه مُكذّبي ورادّ علي فقلت : لا يكتب فذهب الحبر وترك رداءهُ وجعل يصيح : ذبحتُ يَهود ، قُتلت يهود ، قـــال العباس : فلمّا رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل أن اليهودي لَفزِعٌ من

ابن أخيك ، قلت : قد رأيت ما رأيت ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به فإن كان حقاً كنت قد سبقت ، وإن كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك ؟ قال : لا واللّه ما أومن به حتى أرى الخيل تطلعُ من كَدَاء (جبل بمكة) فقلت : ما تقول ؟ قال : كلمةٌ واللّه جاءت على فمي ما ألقيتُ لها بالاً إلاّ أنيّ أَعلم أن اللّه لايترك خيلاً تطلع من كداء .

قال العباس :فلمّا فتح رسول اللّه ﷺ مكة ونظرنا إلى الخيل طلعت من كداء قلت يـــا أبا سفيان أتذكر الكلمة ؟ قال لي : واللّه إني لذاكرها فالحمد لله الذي هداني للإسلام (ابن كثير) .

وفي ذلك يقول شاعر الرسول حسان بن ثابت قبل فتح مكة.

عَدِمـــــنا خيلـــــنا إن لم تـــــروها ... تُـــثيرُ الـــنّقعَ مـــوعِدها كَـــدَاءُ

يُـــــبارينَ الأسِـــــنّةَ مـــــصغيات ... علـــى أكـــتافِها الأَســـلُ الظّمـــاءُ

فاِمَـــا تعُرضـــوا عـــنَا اعتمـــرنا ... وكـــان الفـــتحُ وانكـــشفَ الغطِـــاءُ

وإلاّ فاصــــبروا لجــــلاد يـــومٍ ... يُعـــينُ اللّـــه فـــيه مـــن يـــشاءُ

ثانياً: الجلاء البصري (الاستبصار):

والجلاء البصري أو الاستبصار يتضمن قدرتين الأولى الرؤية بدون استخدام حاسة البـــصر أي العـــين وأمثلة ذلك عديدة منها ما هو قديم ومنها ما هو معاصر كمثل بعض الأطفـــال الذين يستطيعون قراءة الكتب وأعينهم مغمضة أو قراءة الكتب الموضوعة في خـــزانة مغلقـــة ، والقدرة الثانية هي الرؤية بالعين المجردة مع اختراق حاجز المكان وهو أقرب إلى ما نسميّه الآن الاستشعار عن بعد ولعل أقدم وأوضح الأمثلة على ذلك زرقاء اليمامة التي كانت تستطيع الرؤية على بعد مسيرة ثلاثة أيام ، ومنهم من يجمع القدرتين معاً أي يستطيع الرؤية عن بعد بعينين مغمضتين .

إن الكـثير من بحوث الادراك فوق الحسي تشمل خبرات خارج الجسد ولاسيما الـرؤية عن بُعد أو قدرة الشخص على ترك جسده وزيارة مناطق جغرافية بعيدة ، كان الكيمياوي القديم باراسلساس قد وصف هذه الظاهرة قبل أربعمائة عام إذ قال : (الإنسان أيـضاً يمتلك القدرة التي يمكنه بها أن يرى أصدقاءه والظروف المحيطة بهم على رغم أن اصـدقاءه هؤلاء قد يبعدون عنه ألف ميل ...) ويقول هارولد بتهوف من معهد بحوث ستانفورد (يبدو أن كل شخص يستطيع ممارسة الرؤية عن بعد) وإن الشخص المتوسط يـستطيع بالممارسـة أن يـؤدي نفـس أداء الشخص المحترف أما النتائج التي يحرزها الاشخاص غير المتمرسين فأقل جدارة بالثقة من نتائج المحترفين ومن النتائج الأكثر جدارة بالـثقة التي ذكرها بتهوف عن الاشخاص الموهوبين وصف أحدهم محتويات غرفة حفظ أضابير مغلقة تبعد عنه ثلاثة الآف ميل.

وهارولد بتهوف مولود في ٢٠ حزيران ١٩٣٦م حصل على شهادة الدكتوراه في الهندسة الكهربائية من جامعة ستانفورد وبعد تخرجه أشتغل في القوة البحرية ووكالة الامن القومي في فورت ميد بولاية ميريلاند (حروب العقل) .

ومـن الأمـثلة المشهورة أيضاً ، في انكلترا كانت تعيش سيدة معجزة إنها السيدة هتـشمان وهـي أيـضاً مـن مدرسة اليوغا ، أو الرياضة النفسية للجسم أو الترويض الجسمي ، هذه السيدة وصفت لرجال الارصاد الفلكية كيف أنها ترى الاقمار التي تدور حول كوكب المشتري وصفاً دقيقاً (المشتري يبعد عن الأرض ٦٢٨ مليون كيلومتر) .. هذه السيدة نفسها استطاعت أن تميز ملامح وجه ابنتها وتصف بالضبط الذي ترتدية وما الـذي تـضعه على وجهها في ساعة محددة وابنتها تبعد عنها (١٦٠٩كم) وهذه السيدة اسـتطاعت أمـام عدد من العلماء يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٣٨م أن تقرأ ورقة على بعد عشرين متراً هذه الورقة مكتوبة بحروف صغيرة لا ترى إلاّ بالمكرسكوب.

أمـا السيدة السوفيتية روزا كولشوفا فقد ولدت سنة ١٩٤١م وهي من أعجب الكائـنات البشرية فقد ولدت من أبوين لا يريان وقد أعتادت أن تقرأ لهما على طريقة

برايل أي لمس الحروف البارزة بأصابع اليدين ولكن روزا هذه تفوقت على الأبوين لأنها تستطيع أن تقرأ لا بيديها ولكن بذراعيها أو بظهرها ويكفي أن توضع الأوراق المكتوبة ملامســة لاي مكان من جسمها وهي تستطيع أن تقرأها ، بل أنها تقرأ بأصابع قدميها أيضاً وليس هذا هو العجيب وإنما العجيب أنها تستطيع أن تقرأ بأصابعها الصحف العادية أي التي ليس لها حروف بارزة وإنها تستطيع ذلك بأصابع يديها ورجلها وأكثر من ذلك أنهــم وضــعوا لها لوحاً زجاجياً على الصحيفة وكانت تمر بأصابعها على الزجاج وهي معــصوبة العيــنين ثم تقــرأ الصحيفة ، وأكثر من ذلك أيضاً أنها تستطيع أن تقول وهي مغمضة العينين أن هذه الالوان زرقاء أو صفراء أو حمراء وكانت أيضاً تعرف معنى الصورة وتفاصيلها بمجرد أن تمر بأصابعها عليها وهي مغمضة العينين (أنيس منصور) .

واذا ما جئنا للتفسير الهندي للاستبصار عند ممارسي اليوغا فنرى أن أحد اليوغيين يعلل ذلك بقوله : إن الوحدة الشفافة للعالم المادي ليست محجوبة عند اليوغيين الصادقين فــإني أرى تلاميذي فوراً وأتحدث إليهم في كلكتا النائية وبالمثل يستطيعون هم بإرادتهم التغلب على جميع العوائق المادية (الموصلي).

وكمــا هو الاستبصار عند الاناس العاديين فإن هذه القدرة موجودة عند الأولياء والــصالحين بل تكون أكثر وضوحاً وغير قابلة للخطأ وشواهدها عديدة جداً منها رؤيا الــشيطان من قبل الشيخ عبد القادر الكيلاني ومن قبل الإمام الشافعي ، فالشيخ الكيلاني كــان يقول : تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق ثم تدلى فيه صورة تناديني : يا عبد القادر أنا ربــك وقــد أحللت لك المحرمات ، فقلت أخسأ يا لعين ، فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان ثم خاطبني يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بأمر ربك وفقهك في أحوال مــنازلاتك ولقــد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق ، فقلت لله الفضل (الطبقات الكبرى للشعراني) (سيرومناقب).

وروي أن ابليس سأل الإمام الشافعي رحمه اللّه : ما قولك فيمن خلقني كما أختار واســتعملني فيما أختار وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنّةَ وإن شاء أدخلني النار أعَدَلٌ في

ذلك أم جار ؟ فنظر في كلامه ثم قال : يا هذا ، إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وإن كان خلقك لما يريد هو فلا يُسأل عمّا يفعل ، فأضمحل إلى أن صار لا شيء ثم قال والله ياشـافعي لقد أخرجت بمسألتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية (مكاشفة القلوب للغزالي).

ومنها رؤيا ما كتب بغير مِداد فعن السيد أحمد الرفاعي رحمه الله كان إذا طلب منه أحـد أن يكتب له عوذةً ولم يكن عنده مِداد (أي حبر) يأخذ الورقة ويكتب عليها بغير مِـداد ، فكتب يوماً لشخص بغير مداد ، فأخذ الشخص الورقة وغاب مدّة ثم جاء بها ورفعها ليكتب له فيها ممتحناً ، فلمّا نظر إليها قال : أي ولدي هذه مكتوبة وردّها إليه مـن غير ضجر (السيد أحمد الرفاعي) ومن الجلاء البصري أيضاً رؤيا الخضر عليه السلام من الخاصّة دون العامّة .

روى يعقـوب بن سفيان في تاريخه وأبو عروبة من طريق رياح بن عبيدة قال : (رأيـتُ رَجُلاً يُماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه فلمّا انصرف قلت له : من الرجل؟ قال : رأيته؟ قلت : نعم قال : أحسبك رجلاً صالحاً ذاك أخي الخضر بَشرني أنيّ سأولى وأعدل) قال ابن حجر لا بأس برجاله ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره (فتح الباري) .

والجلاء البصري كرامة من الله لأوليائه فلقد ورد في الحديث القدسي عن الأولياء المتقربين إلى الله بالنوافل وفيه (فكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به) (فتح الـباري) والجلاء البصري لصحابة رسول الله ﷺ مشهور ومن أمثلته رواية سارية الجبل لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أطلع على سير معارك المسلمين مع الفرس وهـو يخطـب في المدينة المنورة بل ووجّه الجيش وهو في خطبته ومن الأمثلة الأخرى اطـلاع الـصحابة رضوان الله عليهم على الملائكة وعلى أهل الجنة والنار وعلى عرش الـرحمن وإن كـان هـذا الاطلاع لأحوال معينة كان عليها بعض الصحابة رضوان الله علـيهم ، فعن أسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط

عنده ، إذ جالت الفرس فسكت فسكتت فقرأ فجالت فسكت وسكتت الفرس ، ثم قرأ فجالـــت الفرس فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق (أي أسيد) أن تصيبه (أي تـــصيب الفـــرس ابنه) فلمّا أجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلمّا أصبح حدث النبي ﷺ فقال : إقرأ يا ابن حُضير إقرأ يا ابن حُضير قال: فاشفقت يا رسول الله أن تطأ يحـــيى وكان قريباً منها فرفعت رأسي فأنصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلّـــةَ فيها امثال المصابيح فخرجت حتى أراها قال : وتدري ما ذاك ؟ قال: لا ، قال: تلك الملائكة دنت لصوتِك ولو قرأت لأصبحَتَ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم) (رواه الـــبخاري) وشرح الحديث في فتح الباري إقرأ يا ابن حضير : أي كان ينبغي أن تستمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة. قال النووي: في هذا الحديث جواز رؤية آحـــاد الامّـــة للملائكة كذا أطلق وهو صحيح لكن الذي يظهر التقيد بالصالح والحسن الصوت (فتح الباري) ، وفي صحيح مسلم أيضاً عن حنظلة الأسيدي قال وكان من كتّاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة ، قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكـــرنا بالـــنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وســـلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر فو الله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافق حـــنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك ، قلت يا رسول الله نكـــون عـــندك تذكـــرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأيُ عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

والـــذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طُرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ... ثلاث مرات . ومن الأمـــثلة المشهورة أيضاً حديث الحارثة بن سراقة وفيه: سأل رسول الله ﷺ الحارثة بن سراقة : كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً ، قال : يا حارثة إن لكل

حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال : أعرضت نفسي عن الدنيا (أي زهدت فيها وانصرفت) فأظمأت نهارها وأسهرت ليلها واستوى عندي حجرها وذهبها وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون وإلى أهل النار يتضاغون وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً . فقال رسول الله ﷺ : أصبت فألزم (الحديث أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن منده وأبو نعيم وانظر نص الحديث في أُسد الغابة لابن الاثير في ترجمة حارثة بن سُراقه وفيه زيادة قال : إلزم عبدٌ نوّر اللّه الايمان في قلبه).

أما عن رؤيا الجن من قبل الأناس العاديين أو حتّى الصالحين فيبدو من ظاهر الحديث الآتي أنه لا يطلعّ عليهم أَحد بصورتهم الخلقية لدعوة نبي اللّه سليمان ، ففي حديث محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال : إن عفريتاً من الجنّ تفلّت عليّ البارحة ليقطع صلاتي فأمكنني اللّه منه فأخذته وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان ﴿ربِّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي﴾ فرددته خاسئاً (متفق عليه)(الذهبي) .

ولعل من أجلّ أمثلة الجلاء البصري هي أحاديث النبي ﷺ في الجلاء البصري الدنيوي والجلاء البصري الأخروي فمن أمثلة الجلاء البصري الدنيوي الأحاديث الآتية وفيها تمكن النبي ﷺ من الرؤية من وراء ظهره الشريف (عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : هل ترون قبلتي ههُنا واللّه ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوعكم وإنيّ لأراكم وراء ظهري) (رواه البخاري) (فتح الباري). قال الشافعي: هذه كرامة من اللّه أبانه بها من خلفه (الذهبي) (وعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : أتمّوا الركوع والسّجود فو الذي نَفسي بيده إنيّ لأراكم من بعد ظهري إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم) (رواه البخاري) (فتح الباري).

وأبعد من ذلك الجلاء البصري عبر المكان ضمن كوكب الأرض ففي الحديث النبوي الشريف دليل رؤيته لكوكب الأرض إجمالاً (إن اللّه زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها) (رواه مسلم)(الصفوة

للصابوني) . وفي الحديث الشريف رؤيته لبيت المقدس على وجهِ الخصوص (عن جابر بن عـبد اللّـه رضي اللّه عنهما أنه سمع رسول اللّه ﷺ يقول : لمّا كذبتني قريش قمت في الحجـر فجلـىّ اللّـه لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه) (رواه الـبخاري) (فـتح الباري). وفي الأحاديث الآتية إستدلال بصري على قبر موسى عليه السلام والاطلاع على الفتن رؤيا عين.

(قـال أبو هريرة رضي اللّه عنه قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) (في دلالته علـى قبر موسى عليه السلام في الأرض المقدسة) : لو كنت ثَمَّ لأريتُكم قَبَره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر) (رواه البخاري) (فتح الباري) (عن أسامة بن زيد رضي اللّه عـنهما قـال : أشرف النبي ﷺ على أُطُم من آطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالـوا: لا قال : فإني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القَطرِ) (رواه البخاري) (فتح الـباري). ولعـل من معجزاته ﷺ الجلاء البصري عبر الزمان أيضاً ففي الحديث رؤيته صـلوات اللّه عليه لموسى ويونس عليهما السلام وهما في موسم الحج يلبيّان بل وصف هيأتهما ولباسهما وصوتهما.

(قال الإمام أحمد حدثنا هشام حدثنا داود بن أبي هند عن أبي العالية عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ مَرَّ بوادي الأزرق فقال : أيُ وادٍ هذا ؟ قال : وادي الأزرق قـال : كـأني أنظر إلى موسى وهو هابط من الثنيّة وله جؤار إلى اللّه عز وجلّ بالتلبـية . حتىّ أتى على ثنية هرشاء ، فقال : أيُ ثنية هذه ؟ قالوا ؟ هذه ثنية هرشاء ، قال : كأني أنظر إلى يونس بن متى على ناقة حمراء عليه جبة من صوف، خطام ناقته خلبة وهو يلبي) (أخرجه مسلم) (ابن كثير) والخلبة هي الليف.

أمّا بالنسبة لأمثلة الجلاء البصري الأخروي فإنّا استثنينا أحاديث الإسراء والمعراج كونها أطلاع عين بشكل مباشر على أحوال الجنة والنار وأهلها واستبقينا الأحاديث التي تشير إلى رؤيته ﷺ للجنة والنار وهو جالس مع أصحابه رضوان اللّه عليهم أي رؤية الجنة والنار دون الانتقال إليهما كما حدث في المعراج ومن هذه الأحاديث أحاديث الكسوف

(عن أسماء رضي الله عنها وفيه ... فحمِدَ اللّه عزَّ وجل النبيُ ﷺ وأثنى عليه ثم قال ما من شـــيء لم أكُـــن أرُيـــتُهُ إلاّ رأيتُهُ في مقامي حتى الجنة والنار ...) (رواه البخاري) (فتح الباري) .

(وفي حديث صلاة الكسوف لأسماء بنت أبي بكر وفيه (ثم سجد فأطال السجود ثم انـــصرف فقـــال : قد دنت منيّ الجنّة حتى لو اجترأتُ عليها لجئتكم بقطافٍ من قِطافها ودنت منيّ النار...) (رواه البخاري) (فتح الباري).

(عـــن عـــبد اللّـــه بـــن عـــباس رضي الله عنه قال خسفت الشمس على عهد رســـول اللّـــه ﷺ فـــصلى ، قالوا يا رسول الله رأيناك تَنَاوَلُ شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكعت (تأخرّتَ) . قال : إني رأيت الجنّة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذتُهُ لأكلتم منه مـــا بقيت الدنيا) (رواه البخاري) (فتح الباري) ويقول شارح الحديث ابن حجر:الظاهر من الحديثِ انها رؤية عين الجنة.

وأحاديث أخرى عن رؤية الجنة والنار وهو جالس في مسجده ﷺ (فعن عقبة بن عامـــر رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أُحُدٍ صلاته على الميت ثمّ انـــصرف على المنبر فقال إنيّ فَرَطٌ لَكُم وأنا شهيد عليكم وإنيّ واللّه لأنظُرُ إلى حوضي الآن ، واني أُعطيتُ مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض وإني والله ما أخافُ عليكم أن تُشركوا بعدي ولكن أخاف عليكمُ أن تنافسوا فيها) (رواه البخاري) (فتح الباري).

وفي حديث عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (.... وأَيم الذي نفسي بـــيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، قال : يا رسول الله وما رأيت؟ قال : رأيت الجنة والنار) (أخرجه مسلم) (السيرة للذهبي).

(ومن حديث حفص بن عمرُ وفيه : فقال رسول الله ﷺ ما رأيت في الخير والشرّ كاليوم قط إنهُ صُورت لي الجنةُ والنارُ حتى رأيتهما وراء الحائط...)(رواه البخاري) (فتح الباري).

(وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال سمعتهُ يقول إن رسول الله ﷺ صلى لنا يوماً الصلاةَ ثُمّ رَقى المِنبَرَ فأشار بيدهِ من قِبَلِ قبلَةِ المسجد فقال قد أُريتُ الآن مُنذُ صَليتُ لكمُ الصلاة الجنة والنار ممثلتينِ من قُبُلِ هذا الجدار فلم أرَ كاليوم في الخير والشرّ فلم أر كاليوم في الخير والشرّ) (رواه البخاري) (فتح الباري)

ثالثاً : الجلاء السمعي والصوتي :

والجلاء السمعي يتضمن القدرة على السماع مع اختراق حاجز المكان أي تكون جالساً في مدينتك وتستطيع سماع متحدث في مدينة أخرى وهو أقصى ما يستطيع أن يبلغه البشر العاديّون (من غير الأولياء) الذين لهم قدرات باراسايكولوجية مثل البوذيين وممارسي اليوغا ومثالنا على ذلك اليوغي الذي يستطيع التحدث إلى تلاميذه وسماعهم وهم في مدينة كلكتا النائية عنه (الموصلي).

أما الجلاء السمعي للأولياء فيتضمن الاستماع إلى الجمادات فضلاً عن البشر عن بعد فمن أمثلته سماع تسبيح الحصى بين يدي رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ومن أمثلته حديث الجذع . (قال أبو حفص بن العلاء المازني عن نافع عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع ، فلمّا وضع له المنبر حَنَّ إليه حتّى أتاه فمسحه فسكن) (أخرجه البخاري) (فتح الباري) ومن أمثلته سماع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

عن علقمة بن عبد الله قال : كنا نعدّ الآيات بركةً وأنتم تعدّونها تخويفاً (لمَن أَنكرَ الخوارق) : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقالَ اطلبوا فضلةً من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يدهُ في الإناء ثم قال : حيّ على الطّهور المبارك والبَرَكةُ من الله ، فلقد رأيتُ الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل) (فتح الباري).

ومنها سلام الشجر والحجر على رسول الله ﷺ قبل بعثته ، قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي

عـن بعـض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأ بالنبوة كان لا يمر بحجـر ولا شجر إلاّ سلم عليه وسمع منه ، وكان يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السـنة ينسك فيه ، وقال سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أُبعث) (أخرجه مسلم) (الذهبي) .

ومـن الجـلاء الـسمعي أيضاً سماع أصوات الشياطين والجن مثل سماع الشيخ عـبد القادر الكيلاني والإمام الشافعي لصوت إبليس اللعين كما ذكرنا في الجلاء البصري وسمـاع عمر بن الخطاب رضي الله عنه لصوت الجن هو ونفر من كفار قريش قبل بعثة رسـول اللّـه ﷺ وهذا الجلاء السمعي كان مرتبطاً مع البشارة ببعثته ﷺ ففي الخبر من حديث طويل وفيه : قال عمر : بينما أنا نائم عند آلهتَهم (آلهة قريش) جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ منه صارخ لم أسمع صارخاً أشد صوتاً منه يقول : يا جَليح أمرٌ نجيح رجل فـصيح يقـول لا إله إلاّ اللّه ، فوثب القوم ، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى: يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلاّ اللّه ، قلت: لا أبرح حتّى أعلم ما وراء هـذا ، فأعاد قوله ، قال فقمت فما نَشِبت أن قيل هذا نبي أخرجه البخاري هكذا (الذهبي) .

ومن الجلاء السمعي أيضاً للأنبياء سماع حديث الحيوان وأمثلته كثيرة منها ما ورد في سـيرة نبينا ﷺ ومنها ما ذكر في القرآن الكريم عن سماع سليمان عليه السلام لحديث النمل (النمل :١٨-١٩) وحديث الهدهد وسماع داود عليه السلام تسبيح الجبال والطير (الأنبياء: ٧٩)

أما الجلاء الصوتي فهو القدرة على إيصال صوتك مخترقاً حاجز المكان ومن أشهر أمثلته وصول صوت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قائده سارية على امـتداد المسافة بين المدينة المنورة وبلاد فارس ففي الخبر : قال يحيى بن أيوب المصري عـن ابـن عجلان عن نافع عن ابن عمر أن عمر بعث جيشاً وأمرّ عليهم رجلاً يدعى سـارية فبيـنما عمر يخطب فجعل يصيح (ياساريةُ الجبل) فقدم رسول من ذلك الجيش

فقـــال : يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا فإذا صائح يصيح (ياسارية الجبل) فأسندنا ظهـــورنا إلى الجبل فهزمهم الله ، فقلنا لعمر : كنت تصيح بذلك (الذهبي) . وسارية بن زنـــيم بعـــثه أمـــير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى مدينة فسا ودرا بجرد في فتوح بلاد فارس) .

ومـــن أمثلته أيضاً كرامة للسيد الرفاعي رحمه الله أنه كان يسمع حديثه البعيد مثل القريب (الشعراني)(السيد أحمد الرافعي) .

ورســـول اللّـــه ﷺ كان جلاؤه السمعي في حياته وبعد وفاته ففي الحديث الذي أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب بسند جيد لفظه (من صلّىَ عليّ عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً بلغته)(فتح الباري) .

وهـــذا الحديث الشريف تحقق على مسمع ومرأى جموع الحجيج في رواية مؤكدة تعدّ من أعظم كرامات السيد الرفاعي رحمه الله ففي الخبر : أنه لما حجّ سنة (٥٥٥هـــ-١١٦٠م) وقف اتجاه الحجرة النبوية الشريفة وقال على رؤوس الأشهاد: السلام عليك يا جدّي ، فقال له ﷺ: وعليك السلام يا ولدي (جلاء سمعي بعد وفاته ﷺ) سمع ذلك كل من في المسجد النبوي ، فتواجد سيدنا أحمد وأرعد واصفر لونه وجثى على ركبتيه وبكى وأنّ طويلاً ثم قال : يا جدّاه:

في حالـــة الـــبعُد روحي كنُتُ أرسلهُا تُقـــبّل الأرض عـــنيّ وهـــي نائبتي

وهـــذه دولـــة الأشـــباح قد حضرت فامـــدُد بمينك كي تحظىّ بها شفتي

فمدّ له رسول الله ﷺ يده الشريفة من قبره المطهر فقبّلها في ملأ يقرب من تسعين ألـــف رجل والناس ينظرون اليد الشريفة وكان في المسجد مع الحجاج الشيخ عبد القادر الكـــيلاني والشيخ حياة بن قيس الحراني والشيخ خميس والشيخ عدي بن مسافر الشامي وغيرهـــم ، وهذه الكرامة اشتهرت بين الناس حتى صارت متواترة لاتُنكر وجاحدها لا يعـــوّل علـــيه ، رواها علماء متعددون وأئمة معتبرون حيث ذكرها الإمام الشيخ أحمد الوتري في كتابه مناقب الصالحين ، والصفوري في نزهة المجالس والحافظ الإمام الواسطي

في كتابه تـرياق المحبين والإمام جلال الدين السيوطي في كتابه التنويه والإمام الشعراني والشيخ يوسف النبهاني وخلائق لا يحصون (من كتاب السيد أحمد الرفاعي) .

والجلاء السمعي لرسول الله ﷺ له خصوصيّات عديدة أولاها سماع الشجر والحجر وتسميعه أصواتهم لمن شاء من صحابته رضوان الله عليهم وثانيهما سماع حديث أهـل الجنة وأصواتهم ففي الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر : يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإنيّ سمعت دَفَّ نعليك بين يدي في الجنّة ، قال : ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أَتطهرّ طُهوراً في ساعةِ ليل أو نهار إلاّ صّليت بذلك الطُهور ما كتُب لي أن أُصليّ) (أخرجه البخاري) (فتح الباري).

وثالـثها اختـراق حاجز المكان والزمان معاً ومثاله الحديث الذي سبق ذكره في الجلاء البصري عن سماعه صلوات الله وسلامه عليه لموسى ويونس عليهما السلام وهما يلبّيان فهو جلاء سمعي عبر الزمان.

وتفسيرنا لامتلاك الأولياء لقدرتي الجلاء السمعي والبصري مستمد من أن الله عز وجل منح أولياءه هذه القدرات ففي الحديث القدسي : أن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبُ إليّ ممّا افترضه عليه ، وما زال عـبدي يتقـرّب إليّ بالنوافل حتىّ احببتهُ فكنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ....) (أخرجه البخاري)(فتح الباري).

رابعاً : الجلاء الفكري أو التخاطر:

والجـلاء الفكري أو التخاطر من أكثر الظواهر الباراسايكولوجية انتشاراً واشتهاراً بـسبب امتلاك غالبية البشر بل والحيوانات أيضاً لهذه القدرة ، فكم من الساعات مرّت علينـا في حياتنا اليومية ونحن نشعر فيها بسعادة تامة ولا نعلم السبب ويأتي السبب بعد حـين أنـه في نفس تلك الساعات كان هناك انجازاً طيباً لأحد أبنائنا أو أخواننا أو أن مـسافراً عزيزاً علينا غادر في تلك الساعات متجهاً إلينا ، وكم من الساعات مرّت علينا

ونحن نشعر فيها بضيق وانقباض في الصدر ولا نعلم السبب لنعرف بعدها أنه في تلك الساعات حدث حادث سيء لأحد ذوينا أو معارفنا وكأننا كنا على اتصال مباشر ومتبادل مع من نحبهم ، يوصلون إلينا أفراحهم وأتراحهم بشكل فوري لنستقبلها نحن في زمن حدوثها ونبث إليهم كذلك أفراحنا وأتراحنا ليستقبلوها هم كذلك بوقت حدوثها رغم بعد المسافات بين الجانبين .

ولقد توصل الدكتور الأمريكي برتولد شفارتز وهو اختصاص في طب الأعصاب من نيوجرسي وطبيب نفساني إلى جمع أكثر من خمسين حالة تخاطرية جرت بين الأهل وأولادهم ، ويقول إنه يبدو أن النشاط الذهني لدى الأم والأب تسبب في حدوث ردود أفعال جسمانية لدى الأبناء (الموصلي) . وينقل (الموصلي) الشاهد الآتي على ظاهرة الجلاء الفكري أو التخاطر : لعل من الطريف في اطار التخاطر وتأثيره عن بعد أن نروي الحادثة الآتية التي ابطالها أشهر شخصيتين علميتين في العالم أينشتاين وفرويد مع أشهر شخصية باراسايكولوجية وهو هدوولن مسنج .

وقعت الحادثة عام ١٩١٥م حيث دعا أينشتاين مسنج إلى زيارة في شقته وكان المدعو الأخر هو سيجمود فرويد وكان فرويد يريد أن يجري بنفسه تجربة على قابليات مسنج فقام بدور المرسل ، ويروي مسنج الحادثة فيقول (لا أزال أذكر إلى اليوم الأمر الذهني الذي أصدره إلى فرويد وهو: (اذهب وابحث في خزانة الحمام عن ملقط الشعر ثم ارجع إلى البرت أينشتاين وانزع ثلاث شعرات من شاربه الكث) بعد أن عثر مسنج على الملقط اتجه مستقيماً نحو أينشتاين وشرح له معتذراً ما يريد فرويد أن يفعله به فابتسم أينشتاين ومد خده له).

ومن المثير أن البعد المكاني لا يؤثر في نقل الرسالة التخاطرية حيث جرت تجارب عديدة ناجحة لنقل الرسائل التخاطرية من موسكو إلى لينيغراد من جانب آخر اكتشف أن التخاطر لا تمنعه حواجز مهما كانت ويسري مفعوله حتى داخل غرفة (فاراداي) وقد أجرى التجربة فاسيليف على فتاة داخل الغرفة التي تمنع التموجات الكهرومغناطيسية

وحاول أحد الباحثين وهو خارج الغرفة الايحاء للفتاة بالنوم وهي داخل الغرفة فنامت ممّا يعني أن التخاطر وطاقة الفكر ليست ذات طبيعة مادية فيزيائية معروفة .أما مؤلف كتاب (الإنـــسان وقواه الخفية) فيشير إلى تقرير كتبه والد عن جريمة قتل حدثت لابنته يقول : كان يوماً بارداً عاصفاً وكنت أقف أنا وزوجتي أمام مدخل المنزل الخارجي نراقب عاملي ميناء يعملان ، وفجأة قالت زوجتي : أين ابنتي فيونا؟ ودون سبب معقول وواضح أحَسَّ كلانـــا باحساس جارف وعارم أن ابنتنا قد وقع لها مكروه وبالفعل كانت الطفلة ضحية لقاتل .

إن الجلاء الفكري من وجهة النظر الشرعية متاح أيضاً لجميع البشر ودليلنا مستند إلى الحديث النبوي الشريف (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها اخـــتلف) وحديث (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه) رواه الترمذي وهذا الحديث الـــشريف كـــان عنوان اختبار للشيخ الجنيد البغدادي ، كان الجنيد ولياً من اكابر الأولياء وعالماً من اكابر العلماء وكراماته مأثورة منها أنه جاءهُ يوماً شاب كافر في صورة مسلم فقـــال : له يا أبا القاسم ما معنى قول النبي ﷺ (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه) فأطـــرق الجنيد ملياً ثم رفع رأسه إليه وقال : أسَلِم فقد آن لك أن تُسلم ، قال : فأسَلَم الغلام (ذكره ابن كثير في تاريخه) (سير ومناقب).

وللجنيد أيضاً اختبار لأحد تلاميذه الذي شاع عنه امتلاكه لقدرة التخاطر وتقول الـــرواية : كـــان رجل من أصحاب الجنيد يُتّهم على التخاطر (أي يكذّبون قدرته على التخاطر) فأعلم بذلك الجنيد فقال له : ماذا يقولون عنك أهو حَقّ ؟ (أي امتلاكه لقدرة التخاطر) قال الرجل : نعم تكلمّ بقلبك (أي طلب من الجنيد أن يتكلم بباطنه) وأخبره بما تكلم فقال الجنيد : لا ، ثم تكلم مرة أخرى بقلبه وأخبره الرجل بما تكلم ، فقال : لا ثم تكلـــم مرة أخرى بقلبه وأخبره الرجل فقال : لا ، فقال : يا شيخ ما معي حق فانظر ما معك (أي أيسَ الرجل من قدرته لتخطيئ الشيخ له) قال الشيخ : صدقت في الجميع إنمّا أردت أن أختبر صفاء قلبك وثباته (الفتح الرباني للكيلاني).

وأمثلة الجلاء الفكري لصحابة رسول الله ﷺ أكثر من أن تعد وتحصى.

ونختـــتم فصل الجلاء الفكري بالحديث الآتي عن الجلاء الفكري للنبي ﷺ كشاهد فقط ، عن وابصة الأسدي قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه ، فجعلت أتخطى الناس ، فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ: فقلت : دعوني أدنو منه ، فإنه من أحب الناس إلي أن أدنو منه ، فقال : ادنُ يا وابصة ، فدنـــوت حتى مست ركبتي ركبته ، فقال : يا وابصة أخبرك بما جئت تسألني عنه فقلت أخـــبرني يـــا رسول الله قال : جئت تسأل عن البر والإثم ، قلت : نعم ، قال : فجمع أصـــابعه فجعـــل ينكت بها صدري ويقول : يا وابصة استفت قلبك ، استفت نفسك ، البر : ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك (الذهبي) .

خامساً : تحريك الأشياء باراسايكولوجياً (السايكوكينزيا):

إن السايكوكينزيا تعني (تحريك الأشياء بالقدرة النفسية الخارقة) أو قوة العقل على المـــادة أي القـــدرة علـــى تحريك الأشياء أو التأثير فيها بدون استخدام أي من القوى الفيزياوية المعروفة ويرمز لها بالرمز PK (Psychokinesis) (حروب العقل).

ويذكر (الموصلي) في تعريف السيكوكينزيا (التأثير على الأشياء المادية بقوة نفسية مركزة من الإرادة والتفكير والتصميم من دون واسطة أي عامل مادي ، قوة في اللاوعي بدائـــية طمسها التطور والتربية ولكنها تظهر من وقت إلى آخر عند بعض الناس ، وهي عكس التخاطر والاستبصار حيث المادة تؤثر على العقل فهنا العقل يؤثر على المادة) .

ولو أردنا التوسع في هذا المصطلح من وجهة نظرنا لوجدنا أن القدرة على تحريك الأشـــياء لاتختلف عن القدرة على تحريك الاجسام نفسها لذا بالامكان ادخال القدرات الخاصة لبعض الأشخاص على الطيران أو السير فوق الماء ضمن هذا الباب ، مع استبعاد تام لجميع الظواهر السحريّة المشابهة كما في سحرة فرعون الذين سحروا أعين الناس حتىّ

ظـنوا أن حـبالهم وعصيهّم من سحرهم أنها تسعى ، ونستبعد أيضاً جميع حيل الخداع البـصري وخفة اليد أو الخداع العلمي في هذا المجال ونلقي الضوء فقط على أمثلة تتناول شخصيات لها قدرة على تحريك الأشياء دون اتباع السحر أو الخداع البصري ومن أشهر الشخصيات في تاريخ الباراسايكولوجي والتي تحدث عنها الشرق والغرب على السواء في مجـال السيكوكينزيا هي السيدة ميخائيلوفا الروسية التي ولدت عام ١٩٢٧ وقد بدأت قـدرتها نتيجة لاصابتها في إحدى المعارك وبغض النظر عن قصة حياتها وتفاصيلها فإن هـذه السيدة كانت تستطيع تحريك الأشياء أمامها وكانت تستطيع جعل حركة البوصلة عكس مسارها وكانت تستطيع أن تفعل الكثير في هذا المجال ، وكما يقول أحد الكتاب السوفيت إنها استطاعت تحريك قطعة خبز على طرف مائدة حتى وصلت إليها ، وقد تم تسجيل فلم سينمائي لبعض التجارب التي أجرتها حيث وضعت بيضة نيئة في محلول مملح في إنـاء زجاجي ووقفت هي على بعد مترين وتحت أنظار الشهود وفيما كانت العدسة تسجل ما يحدث أفلحت ميخائيلوفا في فصل صفار البيض عن بياضها بقوة السيكوكينزيا ثم جمعـت بينهما من جديد. وأجُري لها اختبار آخر في جيكوسلوفاكيا من قبل الدكتور (رجـداك) حـيث يقول أجرينا اختباراً آخر غريباً حقاً فقد ملأنا وعاءً زجاجياً بدخان السجاير وقلبناه ووضعناه على الطاولة أمام ميخائيلوفا وعن بعد ومن خلال ذلك الناقوس الزجاجـي أمكـنها أن تقطع إلى شطرين ذلك الدخان كما لو أنه من مادة صلبة ، وقد أصاب ميخائيلوفا بعد عدة تجارب إنهاك شديد فقد توقف النبض تقريباً وما عاد بوسعها أن تتحرك وبموجب تقرير الدكتور (زفيريف) أشار جهاز التخطيط الكهربائي للقلب إلى وجـود إشـارة انفعالية شديدة وإلى عدم انتظام في ضربات القلب واصاب الجسم كله ضعف عام . ويكفي القول عن تأثير ميخائيلوفا على الفيزيائيين الروس أن أحدهم بعد أن أجرى عدة اختبارات عليها قال (إنني أعلم بصفتي فيزيائياً أن التكلينزيا لا يمكن ان يكون لها وجود لكنني أعلم أيضاً أنني كنت بنفسي شاهداً عليها ، ولقد أثارت التكلينزيا اهتمام جميع الفيزيائيين في مركز دوتيا الذري لكن يبدو عليهم وكأنهم يعتقدون بأنهم إذا ما آمنوا

بوجـــودها فـــلا مناص لهم من أن يهجروا الفيزياء ليشرعوا بدراسة الباراسايكولوجي) (الموصلي) .

ومن الأمثلة الشهيرة أيضاً هو ما يتعلق بأحد عجائب الدنيا السبع وهو الهرم الأكبر فلا يزال العلماء إلى حد الآن مندهشون لكيفية بناء الهرم الأكبر وكيف ألصقت أحجاره الـضخمة بلا أسمنت وكيف قطعت وكيف نقلت وكيف وضعت ، ثم أن غرفة الملك في داخل الهرم لها سقف من كتلة واحدة من الجرانيت الأحمر تزن سبعين ألف كيلو غرام ، إن المهـــندس الفرنسي إلياس الذي نقل إحدى المسلات من الأقصر سنة ١٨٣٥م استغرق شهرين لكي يضعها في إحدى السفن في النيل مع أن هذه المسلة ليست من الحجر المتين وإنمـــا هي من الحجر الهش فكم من الوقت استغرقت عملية نقل كل هذه الاحجار التي تتـــراوح أوزانهـــا بـــين (١٥ و١٠٠طن) ، ففي الكتب العربية القديمة التي تحدثت عن أهـــرامات الجيزة نجد أن بعض المؤرخين العرب يقول : كانت للفراعنة طريقة فريدة في بـــناء الهرم لقد كانوا يأتون بأوراق البردي ويكتبون عليها عبارات وكانت هذه العبارات تجعل هذه الأحجار تطير وتستقر في مكانها برفق وأن الكتل الحجرية التي بني منها الهرم قـــد تطايرت وآرتفعت برفق وهبطت والتصقت ، ربمّا كانت هذه التفسيرات مضحكة وخـــرافية ولكن إذا وجدنا مثل هذه العبارات بحرفيتها في كيفية بناء أهرامات المكسيك وبـــيرو ووجدنا عبارات مماثلة لها في الكتب الهندية القديمة فما الذي نستنتجه ؟ لابد أن نفكر وأن نتسائل لماذا يقال ذلك كله في بلاد مختلفة وفي عصور متقاربة ؟ يقول المؤرخ بليني في كتاب (التاريخ الطبيعي المجلد ٣٤ الفصل ١٤) : إن الفراعنة لديهم قدرات غريبة على رفع الأحجار والمعادن وتركها معلقة في الفضاء ، ولقد رأيت ذلك بنفسي عشرات المـــرات ولم أفهم ولم يشأ أحد منهم أن يشرح لي ذلك (أنيس) هذه أشهر الأمثلة على تحريك الأشياء أما أمثلتنا على القدرة على تحريك الاجسام نفسها كالقدرة على الطيران أو المـــشي فـــوق المـــاء فإنّا نجد في جميع القصص الدينية لمختلف الديانات أن هناك اشخاصاً استطاعوا كسر قانون الجاذبية والارتفاع في الهواء أو فوق الماء ، ويشير (أنيس)

إلى أننا نجد في الأساطير القديمة في أمريكا ومصر الفرعونية والصين نصوصاً تقول: إن أي إنسان لديه القدرة على أن يطير إذا أراد وفي استطاعته أن يجعل الأشياء تفعل ذلك أيضاً وفي الكتاب الهندي القديم (رامايانا) حوادث كثيرة لأُناس طاروا ولكن الكتاب يفسر ذلك بأنه نوع من السحر ، وإن كان في نفس الوقت ينصح الناس بأن يتبعوا أسلوباً خاصاً في الأكل والشرب ويعدهم أن فعلوا ذلك في صبر فسوف يصبحون قادرين على الطيران ، وهذا المعنى يردده رهبان التبت والفرنسيون يذكرون الساحر القديم سيمون الذي هرب من الناس واختفى فوق رؤوسهم ولمّا سألوه في السر قال : إن جسمي خفيف من الجوع ولو شبعت لمشيت على الأرض ولم يكن يمزح تماماً ففيما يقوله شيء من الصحة وهذا ما يؤيده الهنود والكهنة القدماء.

والمؤرخ استرابون يروي لنا حادثاً مماثلاً أيضاً فقد رأى شخصاً يكاد يكون عارياً ارتفع عامودياً وظل في مكانه وطلب إليه أن يهبط ولكنه كان يصرخ قائلاً ولكن لا استطيع ، وفي سنة ١٧٨٠م التف عدد من الاطباء حول خادمة باريسية وغسلوا قدميها وساقيها وفتشوا ملابسها وأذنيها وفمها وصبوا عليها الماء الساخن والبارد ثم وضعوا العطور ثم قدموا لها وجبة ثقيلة وبعد ذلك تركوها في مكانها فجأة ورغم هذا كله ارتفعت الخادمة عن الأرض تسعة أمتار وأخيراً انصرف الأطباء والعلماء وهم يرددون كلمة واحدة : معجزة ، هؤلاء وغيرهم أناس كثيرون يرتفعون إلى أعلى لأسباب لا نعرفها الآن وهناك نوع آخر من الخوارق هو السقوط برفق من الأعلى فكم من حوادث سقوط الاطفال من بنايات شاهقة دون ان يحدث لهم شيء (أنيس) .

ومن الأمثلة المشهورة أيضاً ما رواه الرحالة ابن بطوطة عن رحلته إلى الهند حيث يقول : (بعث لي السلطان (يقصد سلطان الهند) يوماً وأنا عنده في الحضرة ، فدخلت عليه وهو في خلوة ، وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية (يقصد السحرة) وهم يلتحفون بالملاحف ويغطون رؤوسهم فأمرني بالجلوس فجلست : فقال لهما : إن هذا العزيز من بلاد بعيدة فأرياه ما لم يره ، فقالا : نعم ، فتربع أحدهما ثم ارتفع عن الأرض

حتى صار في الهواء فوقنا متربعاً فعجبت منه وأدركني الخوف فسقطت على الأرض ، وهنا أخذ صاحبه نعلاً كانت معه فضرب بها الأرض كالمغتاظ فصعدت النعل إلى أن علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقه وهو ينزل قليلاً قليلاً حتىّ جلس معنا فقال السلطان : إن هذا المتربع هو تلميذ صاحب النعل ، ثم قال : لولا أني أخاف على عقلك لأمرتهم أن يأتوا بأعظم ممّا رأيت) وفي موضع آخر من رحلة ابن بطوطة يقول (وهؤلاء الطائفة تظهر منهم عجائب منها أن أحدهم يقيم الشهور لا يأكل ولا يشرب وكثير منهم تحفر لهم حفرة تحت الأرض وتبنى عليهم فلا يترك للواحد إلا موضع يدخل منه الهواء ويقيم بها الشهور وسمعت أن بعضهم يقيم بهذه الحالة سنة كاملة) وفي مدينة منجرور شاهد ابن بطوطة رجلاً من هؤلاء وضع فوق عمود وأقام فوقه لا يأكل ولا يشرب لمدة ٢٥ يوماً ثم غادر ابن بطوطة إلى مكان آخر وهو يقول حول هذه الحادثة (لست أدري كم أقام فوق العمود من بعدي بلا طعام ولا شراب) (فريد) .

ويقول البروفيسور بلتران أحد أساتذة الكولج دي فرانس أنه رأى في أعالي جبال الهملايا رجال اليوغا يمشون عراة على الجليد وأن أجسامهم لا ترتجف ضمن تجارب يقومون بها لاختبار قدراتهم ، وقد يغطي الواحد منهم جسمه بمسحوق الجليد فإذا طلع النهار وجدوه نائماً ووجدوا الجليد قد تحول إلى ماء في درجة حرارة أعلى من درجة حرارة الجسم بدرجتين أو ثلاث (أنيس) . إن أي تحرّي للظواهر الباراسايكولوجية والقدرات الخارقة لأشخاص عاديين يوصلنا حتماً إلى أن هذه القدرات ما هي إلاّ أمثلة متواضعة لقدرات متواضعة إذا ما قارنّاها بقدرات الصالحين والأولياء فلا يمكن مقارنة كرامة الولي أو الرجل الصالح مع قدرة تحريك الأشياء أو الاجسام للأناس العاديين ، ومن أشهر عمليات النقل للصالحين نقل العبد الصالح الذي لديه علم من الكتاب لعرش بلقيس ، ويقول (البروسوي) إن في آية نقل عرش بلقيس دليل إثبات الكرامات من وجهين أحدهما أن العفريت من الجن لما أدعّى إحضاره قبل أن يقوم سليمان من مقامه وسليمان لم ينكر عليه بل قال أريد أعجل من هذا ، فلما جاز أن يكون مقدوراً لعفريت

مـــن الجن كيف لا يكون مقدوراً لبعض أولياء اللّه تعالى ؟ والثاني أن الذي عنده علم من الكتاب وهو (آصف بن برخيا) وهو وزير سليمان لم يكن نبياً وقد أحضره قبل أن يرتد طرفه إليه كما نطق به القرآن دلّ على جواز إثبات الكرامات الخارقة للعادات للأولياء فإن كانت قدرات الأناس العاديين نقل كسر الخبز وتحريكها فإن قدرات الصالحين والأولياء لا تقـــارن فقدرات التحريك للصالحين عديدة منها ما هو قديم ومأثور ومنها ما هو حديث نسبياً مثل تحريك أحد الصالحين وهو السيد حامد الحاج محمد الرجبو لعبّارة ماء على نهر الـــزاب بكامـــل حمولتها إلى حد أنها أوشكت على الغرق نتيجة لحيف أصابه من ركابها فأكتفى بقوله : اللّه ، عند غضبه للتحريك وقوله : اللّه ، عند زوال غضبه لاسكان العبّارة وإعادتهـــا إلى ضفة النهر ، والعجيب أنه لم يَع ولم يقصد ما حَلَّ بالعبارة بين ذكره للفظ الجلالة في المرة الأولى والثانية ، أما قدرات التحريك للأولياء وكراماتهم فإنها تصل إلى حد تحريك الجبال فنجد مثلاً أن إبراهيم بن أدهم (مشهور بكراماته) سُئل عن كرامة المؤمن علـــى اللّـــه عز وجل كم تبلغ ؟ فقال : يبلغ من كرامته على اللّه تعالى لو قال لهذا الجبل تحـــرك لتحرك ، فتحرك الجبل (الذي أشار إليه ليضرب المثل) فقال إبراهيم للجبل : ما إيّاك عنيت (سير ومناقب).

أمـــا الطيران في الهواء والسير على الماء فأمثلته كثيرة منها سيرة العبد الصالح ذو القـــرنين ورحلاته معتلياً ظهر السحاب ولقد وثق هذه الروايات ابن كثير في كتابة البداية والـــنهاية ، فمـــنها ما روي عن عبيد بن عمير وابنه عبد اللّه وغيرهما أن ذا القرنين حج ماشياً وان إبراهيم عليه السلام لما سمع بقدومه تلقاه ودعا له وأن اللّه سخر لذي القرنين السحاب يحمله عليه حيث أراد واللّه أعلم .

وقال قتيبة عن أبي عوانة عن سماك عن حبيب بن حماد قال كنت عند علي بن أبي طالـــب وســـأله رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب فقال له: (سخّر له السحاب ومُدّت له الأسباب وبُسط له في النور) وقال : أزيدك ؟ فسكت الرجل وسكت علي رضي اللّه عنه ، أما السير على الماء فأشهر أمثلته الروايتين الآتيتين .

قال البيهقي: حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا أبو عبد الله محمد السمري حدثنا أبو العباس السراج حدثنا الفضل بن سهل وهارون بن عبد الله قالا : حدثنا أبو النصر حدثنا سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلةَ وهي ترمي بالخشب من مدّها فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعو الله عزّ وجل ، قال البيهقي : هذا إسناد صحيح (ابن كثير).

وحكي لنا لما دنا (قتيبة بن مسلم) من بلدة بخارى ليفتحها فانتهى إلى جيحون أخذ الكفار السفن حتّى لا يعبر جيش المسلمين عليها فقال قتيبة : اللهم إن كنت تعلم أنيّ ما خرجت إلاّ للجهاد في سبيلك ولإعزاز دينك ولوجهك فلا تغرقني في هذا البحر ، ثم ارسل دابته في جيحون فعبره مع أصحابه بإذن الله (البروسوي) .

ولو انتقلنا إلى قدرة التحريك والانتقال للأنبياء نجد في السيرة النبوية المعطرة أن أدنى تحريك للأشياء هو تحريك الجبال وأعلاه شق القمر وتحريك كل شق عن الآخر ثم إعادة التحامه (فعن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ صعد أُحداً وأبو بكر وعُمر وعثمان فرجف بهم فقال : أثبت أُحد فإنما عليك نبيّ وصدّيق وشهيدان) (البخاري) (فتح الباري).

(وعن أنس رضي الله عنه أنه حدّثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يرُيهم آية فأراهم إنشقاق القمر) (البخاري) (فتح الباري).

(وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انشقّ القمر على عهد النبي ﷺ شقين فقال النبي ﷺ اشهدوا) (البخاري) (فتح الباري) .

أما عن قدرة الانتقال الذاتي فأدناها انطواء الأرض له ﷺ وهو ما يصطلح عليه الآن بصاحب الخطوه ، فعن (أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تُطوى له ، انا لنجُهد أنفسنا وأنّه لغير مكترث) (أخرجه الترمذي في المناقب وقال حديث حسن)(البروسوي) .

وأعلى قدرات الانتقال حديث الإسراء والمعراج وانتقاله ﷺ إلى السموات السبع ، إن تفسيرنا لقدرات الأولياء وتأكيدها شرعياً يرجع إلى الحديث القدسي وفيه (... وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتّى أحببته فكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها...)(البخاري) (فتح الباري) ، وإلى الحديث النبوي (رُبَّ أشعث أغبر ذو طمرين لو أقسَمَ على اللّه لأبَرّه) (رواه مسلم) (صفوة التفاسير) .

سادساً :الاستشفاء باراسايكولوجياً:

إن البشرية منذ العصور الأولى تعاملت مع المرض بوسائل عديدة غير دوائية منها استخدام التعويذات السحرية أو القراءة على المريض أو استخدام الرقص في الشفاء أو استخدام الموسيقى أو إصدار أصوات خاصة من المريض كالأنين وكل هذه الوسائل كانت تؤدي دورها بنجاح في شفاء المريض والواقع إن سبب النجاح يرجع إلى إيمان المريض بفاعلية هذه الطريقة أو تلك في شفائه من المرض وإعادة توازنه النفسي إليه .

وبعد ظهور الأديان تحول الاستشفاء إلى وسيلة لجذب المؤمنين بهذه الديانات وكانت آية من آيات الأنبياء تصديقاً لنبوتهم حيث نجد أن السيد المسيح عليه السلام بُعث في زمن اشتهر فيه الطب والاطباء فكانت معجزته عليه السلام في معالجة ما عجز عنه الطب بل وصلت إلى إحياء الموتى بإذن اللّه أمّا الاستشفاء في عصر الرسالة الإسلامية فقد استقر على أصول الطب الحديث الجامع بين أمراض القلوب وأمراض الأجساد فنجد أن علاج النبيّ ﷺ للأمراض أو ما يعرف بالطب النبوي تضمن ثلاثة محاور الأول المعالجة بالأدوية والأغذية فقط وأحاديثها عديدة مثل حديث استطلاق البطن بسقيها العسل وحديث تناول الحبة السوداء التي فيها شفاء لكل داء وحديث الترغيب في تناول القرع والخل وحديث معالجة عرق النسا بتناول إلية شاة أعرابية وغيرها كثير وهي علاجات دوائية أو غذائية فقط ، أما المحور الثاني من الطب النبوي وهو المعني بدراستنا هو العلاج

بدون استخدام الأدوية والأغذية بل بالرقية أو بقراءة كتاب الله أو بالتسبيح أو بالاستغفار وأمثلـــته عديدة أيضاً مثل حديث قراءة المعوذتين لفك الأذى عن النفس سواء كان ضيقاً أو وسوسة أو سحر ومثل حديث الرقية وفيه (عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : دخلـــت علـــى رسول الله ﷺ في أول النهار فرأيتهُ شديد الوجع وعدت إليه آخر النهار فوجدته معافى فقال : إنّ جبريل أتاني فقال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن كل عينٍ وحاسدٍ الله يشفيك) (رواه مسلم في الطب) .

وتواتـــر عـــن صحابة رسول الله ﷺ قدرتهم الاستشفائية للمرضى بتلاوة القرآن الكريم وكذلك انتقلت هذه القدرة للصالحين والأولياء عبر العصور وإلى زمننا هذا ، ومن أشهر الأولياء المعاصرين الذين امتلكوا هذه القدرة الشيخ محمد الرضواني رحمه الله ، كما أن للتهلـــيل والتـــسبيح أو الاســـتغفار أو الـــصلاة علـــى رسول الله ﷺ دور كبير في الاستشفاء ، يقول الشافعي رحمة الله : أنفس ما يُداوى به الطاعون التسبيح ، ووجهه ان الذكر يرفع العقوبة والعذاب ، قال تعالى (فلولا أن كان من المسبحين) وكذا كثرة الصلاة على النبي ﷺ (البروسوي) .

أمـــا المحور الثالث من الطب النبوي فهو الجمع بين الطريقتين أي تناول الأدوية أو الأغذية مع ذكر اسم الله عليها أو الرقية معها مثل شرب ماء زمزم

بعـــد قـــراءة ســـورة الفاتحة عليها ثلاثاً لعلاج الحّمى وغيرها كثير ، وإن الطب الحديث أقر بهذه المحاور الثلاثة للعلاج ، ويقول (الموصلي) إن الطب الحديث بدأ يتعامل بجانـــب مهم من جوانب العلاج (الباراسايكولوجي) ولكن عن طريق غير مباشر حيث توصـــل العلـــم الحـــديث إلى أن هـــناك (٨٠%) مـــن الأمراض المعروفة هي أمراض سيكوســـوماتية أي أنها تستمد عناصرها من الجسم والعقل معاً بما في ذلك الأمراض التي تستعصي على الطب الحديث كالسرطان وأمراض القلب وقد أجرت مجموعة من الباحثين في مستشفى مودرو بالولايات المتحدة الأمريكية وعلى مدى خمسة عشر عاماً دراسات تفـــصيلية عن أثر المرض وأسبابة العقلية والوهمية والانفعالية فتوصلت إلى نسب متقدمة

جـــداً في إحالـــة عدد من الأمراض على الجانب العقلي لا على الجانب البيولوجي وأن المرض حقيقة هو ليس إلاّ تصوراً ذهنياً والشفاء هو تصور ذهني وأن الأسباب المادية التي كان يتصور أنها تحدث المرض قد أثبتت التجربة المحسوسة أنها ليست كذلك .

ولا شك أن مساحة عمل القدرات الباراسايكولوجية في التأثير على عقل المريض والإيماء للمرضى بأنهم أصحاء ، حيث يعالج الطب الحديث المرض بالعقاقير والمسكنات حـــيث تؤثر هذه العقاقير على فسيولوجية الجسم مؤقتاً ، أما القدرات الباراسايكولوجية والتي مجالها الأساسي هو العقل الذي يتوهم المرض فإنها تعالج هذه الأمراض بأسهل كثيراً مما تعالجه العقاقير .

سابعاً : الخوارق الدينية :

يتـــضح لـــنا من عرض القدرات الإنسانية الخارقة السابقة أنه يشترك فيها الرجال النساء والأطفال والشيوخ ويشترك فيها المؤمن والملحد ويشترك فيها أصحاب الديانات على اختلاف دياناتهم وهذا ما لاحظناه في أمثلة التنبؤ والجلاء البصري والسمعي والصوتي وقدرة تحريك الأشياء السايكوكينزيا والاستشفاء مع تأكيدنا على الاختلاف الواضح بين المـــؤمن والملحـــد في مدى القدرة والمصدر الذي تُستقى منه هذه القدرة ، وبقيت لنا ظواهر خارقة للعادة وجدنا من خلال تقصينا لها :

أن الأولـــياء مـــن المـــسلمين ينفردون بإمتلاكهم لها وهذا الامتلاك مورّث من رسول الله ﷺ ومن هذه الخوارق الاستنارة والتكثير وكسر بعض النواميس الطبيعية .

والاســـتنارة تعـــني الإضاءة في الليلة الظلماء بدون مصدر مألوف للضوء كالنار وغيرهـــا وقـــد تكون هذه الإضاءة سماويّة كما في الحديث الذي أخرجه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء وكان يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعاً رفيقاً ، فإذا عاد عـــادا فلمّا صلى جعل واحداً هاهنا وواحداً هاهنا فجئته فقلت يا رسول الله ألا أذهب

بهمـــا إلى أمهمـــا ، فبرقت برقة فقال : الحقا بأمكما ، فما زالا يمشيان في ضوئها حتّى دخـــلا (ابـــن كثير) ، وقد تكون هذه الإضاءة أرضية ، قال البخاري في التاريخ : عن عمـــرو بـــن محمد الأسلمي عن أبيه قال : كنا مع رسول اللّه ﷺ فتفرقنا في ليلةٍ ظلماء دحسة فأضاءت أصابعي حتّى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وإن أصابعي لتُنير (ابن كـــثير) . ويروي ابن كثير أيضاً قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي بمكةّ قبل الهجرة وأنهُ سأل رسول اللّه ﷺ آية يدعو قومه بها ، فلما ذهب إليهم وانهبط من الثنية أضاء له نـــور بين عينيه ، فقال : اللهم لا ، يقولوا: هوُ مُثلة (أي خشي أن يقولوا هذا برص) ، فحوله اللّه إلى طرف سوطه حتّى جعلوا يرونه مثل القنديل (ابن كثير) وحديث استنارة أيـــضاً أخرجه البيهقي عن ميمون بن زيد بن أبي عبس قال أخبرني أبي أن أبا عبس كان يصلي مع رسول اللّه ﷺ ثم يرجع إلى بني حارثة فخرج في ليلة مظلمة مطيرة فَنوٌّرَ له في عصاه حتّى دخل دار بني حارثة ، قال البيهقي : وأبو عبس ممّن شهد بدراً (ابن كثير).

ومن أشهر روايات الاستنارة ما أخرجه البخاري في صحيحه (عن أنس رضي اللّه عنه أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمةّ ومعهما مثلُ المصباحين يضيئان بين أيديهما فلمّا افترقا صار مع كل واحد منهما واحدٌ حتّى أتى أهله (فتح الباري). وعن أنس قال : كانا أُسيد بن حُضير وعّباد بن بشر .

والاســـتنارة ورّثت عن رسول اللّه ﷺ إلى الصحابة والتابعين فيروي ابن كثير عن يـــزيد بن الأسود وهو من التابعين أنه كان يشهد الصلاة بجامع دمشق من جسرين فربما أضاءت له إبهام قدمه في تلك الليلة المظلمة (ابن كثير) .

ومـــن أمـــثلة التنوير المعاصرة تنوير قبور الشهداء المجاهدين حيث أصبحت هذه الظاهـــرة اعتيادية في أكثر من مقبرة من مقابر الشهداء ، كما أن قبور بعض الأولياء تمتاز بهـــذه الظاهـــرة ، فقد حدثني الشيخ سالم محمد مصطفى من أهالي الموصل أنه في عام ١٩٩٧ قام بزيارة مرقد الشيخ نور الدين البرفكاني ، وأقام محاضرة دينية في القرية وجلسة ذكـــر بعد صلاة العشاء ، وينقل الشيخ سالم كشاهد عيان إضافة إلى سكان قرية برفكا

الحاضرين جلسة الذكر أنهم رأوا نوراً يصدر من قبر الشيخ نور الدين يرتفع إلى السماء ثم يستقر فوق حلقة الذكر ثم يتجه خلف أحد الجبال حيث كان الشيخ نور الدين يختلي عنده وإن هذا الضياء شوهد عن بعد حيث حضر بعض أهالي القرية يستفسرون عنه في الصباح الباكر ومن الأمثلة المعاصرة نسبياً تنوير مجلس الذكر يؤمه محمد النوري من أهالي الموصل.

أما التكثير فهو ما يطلق عليه بالمصطلح الديني (البركة) حيث لم أعثر على أي مصدر يشير إلى قدرة التكثير لدى الأشخاص من ذوي القدرات الخارقة سواء كانت قدراتهم ذاتية أو بمعونة الجن ، ولاشك أن قدرة التكثير لرسول الله ﷺ هي أعظم الشواهد ومنها تكثير الماء ، (أخرج البخاري عن علقمة عن عبد الله قال كنا نعدُّ الآيات بركةً وأنتم تعدّونها تخويفاً (لمن أنكر الخوارق) كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال اطلبوا فضلةً من ماء فجاؤا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال : حيّ على الطهور المبارك والبَرَكةُ من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل) (فتح الباري) هذا بالنسبة للماء الأرضي ، أما الجو فاستسقاؤه واستصحاؤه غير مرة كحديث الأعرابي في الصحيحين وفي حديث حماد بن سلمة وغيره عن ثابت عن عبد الله بن رياح عن أبي قتادة رضي الله عنه قال (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال : إن لا تدركوا الماء تعطشوا فانطلق سُرعانُ الناس تريد الماء ولزمت رسول الله ﷺ تلك الليلة) والحديث طويل وفيه طلب رسول الله ﷺ ماءً للوضوء (ثم نزلنا فقال : أمعكم ماء ؟ قلت نعم ميضأة فيها شيء من ماء ، قال : فأئتني بها ، فتوضئوا وبقي في الميضأة جرعة فقال : ازدهر بها (أي احتفظ بها) يا أبا قتادة فإنه سيكون لها شأن) (ونلاحظ هنا سبق علمه ﷺ بالحاجة للماء وتهيئته الميضأة (قربة الماء) لمعجزة له ﷺ ونتابع الحديث)(فلما اشتدت الظهيرة رفع لهم رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله هلكنا عطشاً انقطعت الأعناق ، قال : لاهُلكَ عليكم ، ثم قال : يا أبا قتادة ائتني بالميضأة ، فأتيته بها فقال : حلّ لي غمري – يعني قدحه فحللته فجعل

يصب ويسقي الناس ، فقال : أحسنوا الملء ، فكلكم سيصدر عن ريّ فشرب القوم حتّى لم يبق غيري وغير رسول الله ﷺ فصب لي فقال : اشرب قلت : اشرب أنت يا رسول اللّه ، قال : إن ساقي القوم آخرهم شرباً ، فشربت ثم شرب بعدي وبقي من الميضأة نحو مما كان فيها وهم يومئذ ثلاثمائة) (رواه مسلم) (الذهبي).

وأخرج البخاري ومسلم الرواية الآتية في تكثير الماء أيضاً : قال سَلم بن زَرير سمعت أبا رجاء العطاري يقول : حدثنا عمران بن حصين أنهم كانوا مع النبي ﷺ في مسير) وفيه (.... وكنا قد عطشنا عطشاً شديداً فبينما نحن نسير إذا نحن بإمرأة سادلة رجليها بين مزادتين (قربة كبيرة) فقلنا لها أين الماء ؟ قالت : أيهات (كذا في الأصل وهي لغة في هيهات وفي متن البخاري قالت إنه لا ماء) فقلنا : كم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت : يوم وليلة ، فقلنا انطلقي إلى رسول الله ﷺ ، قالت: وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها شيئاً حتّى استقبلنا بها رسول الله ﷺ فحدثته أنها مؤتمة (أي ذات أيتام) فأمر بمزادتيها فَمجَّ (وفي الصحيح للبخاري فمسَحَ بدل مجّ) في العزلاوين (تثنية عزلاء وهي فم القربة) العلياوين فشربنا عطاشاً أربعين رجلاً وملأنا كل قربةٍ معنا وكل أداوة : ثم قال لنا هاتوا ما عندكم فجمعنا لها من الكِسَرِ والتمر حتّى صَرّ لها صرّة ، فقال : اذهبي فأطعمي عيالك ، واعلمي أناّ لم نرزأ من مائك شيئاً ، فلما أتت أهلها قالت لقد أتيتُ أسحَرَ الناس ، أو هو نبيّ كما زعموا ، فهدى الله ذلك الصرم (النفر) بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا) (متفق عليه) (الذهبي) .

أما بركاته صلوات الله وسلامه عليه في تكثير الطعام فعديدة جداً منها الحديث: قال سليمان التيمي عن أبي العلاء عن سُمرةَ بن جندب أن رسول الله ﷺ أتي بقصعة فيها طعام فتعاقبوها إلى الظهر منذ غدوة ، يقوم قوم ويقعد آخرون ، فقال رجل لسمرة : هل كانت تُمَدّ (يعني بالطعام) ؟ قال ؟ قال فمن إيش تعجب ؟ ما كانت تمدّ إلاّ من هاهنا وأشار إلى السماء ، وأشار يزيد بن هارون إلى السماء ، هذا حديث صحيح رواه أحمد والترمذي والنسائي. (الذهبي) .

وإن كثـــرة كــــراماته ﷺ في تكــثير الطعام جعلت هذه الكرامة أمراً مألوفاً لدى الصحابة الكرام فنجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ أن يدعو على بقايا أزواد القوم بالبركة بعد أن قاربت على النفاذ وهم في سفر فنجد في الحديث : (قال طلحـــة بـــن مصرف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مسير فـــنفدت أزواد القوم حتّى همّ أحدهم بنحر بعض حمائلهم ، فقال : عمر : يا رسول الله لـــو جمعت ما بقي من الأزواد فدعوت الله عليها ، ففعل، فجاء ذو البر ببره وذو التمر بتمـــره ، فدعا حتّى أنهم ملئوا أزوادهم ، فقال: عند ذلك (أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنيّ رســـول الله لا يلقـــى الله بهمـــا أحـــد غير شاكّ فيهما إلاّ دخل الجنة) (أخرجه مسلم) (الذهبي) .

وكما أن بركة تكثير الأطعمة كانت على يده ﷺ فإنها امتازت بالاستمرارية ضمن أوعيـــتها التي كانت بها ولكن هذه الاستمرارية خضعت لشرط واحد وهو عدم كيل ما يحويه الوعاء فنجد في الأحاديث الشريفة الآتية أن بركة تكثير الطعام استمرت للصحابة ولكن ما إن كالوها نفدت ، قال معقل بن عبيد الله بن الزبير عن جابر أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه ، فأطعمه شطر وسق شعير ، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته ومن ضيّفاه حـــتى كاله ، فأتى رسول الله ﷺ فقال له : لو لم تكِلهُ لأكلتم منه ولَقامَ لكم) هكذا في صحيح مسلم وفي الأصل (وأقام لكم) (الذهبي) .

وكانت أم مالك تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه إلى رسول الله ﷺ فتجد فيه سمناً فما زال يقـــيم لهـــا أدم بيتها حتى عصرته فأتت رسول الله ﷺ فقال أعصرتيها ؟ قالت : نعم ، قال : لو تركتيها ما زال قائماً) (أخرجه مسلم)(الذهبي) .

وروى الـــبخاري ومـــسلم من حديث أبي أسامة بن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين قالت له : لقد توفيّ رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلاّ شطر شعير في رفّ لي فأكلت منه حتى طال عليّ فكِلتُهُ ففني) (ابن كثير) .

وبركة تكثير الطعام متوارثة لدى المسلمين من عصر الرسول ﷺ وعصر الصحابة والتابعين وإلى عصرنا الحالي الذي يكثر فيه الصالحون الذين يمتلكون هذه الكرامة ، ومن العجيب أن بركة تكثير الطعام لاتتضمن الأشخاص والأوعية فحسب بل تتضمن حتّى المساكن التي كان يقطنها الصالحون وإن هجرت لسنين ، وإن المثل المشهور (أن البيوت عتاب) له أصل مؤكد ويعني المثل أن عتبة الدار إما تكون عتبة خير أو عتبة شر فمن تجربة شخصية حصلت معي حيث كنت قد انتقلت وظيفياً من بغداد إلى الموصل وسكنت في دار قديمة مهجورة منذ عشرين سنة كانت عائدة لوالدي رحمه الله ، وتقع الدار في محلة شعبية تدعى رأس الكور وتزامن انتقالي مع أشد سنين الحصار على العراق وطأة حيث كانت الحصة التموينية الشهرية لا تغطي أكثر من حاجة نصف شهر على أحسن تقدير ممّا يضطر الجميع إلى شراء مواد تموينية تكميلية ولكن طوال مدة سكني في هذه الدار المستغرق عاماً كاملاً لم تكن المواد التموينية تنقص من أوعيتها ولم أضطر لشراء أية مادة غذائية دون أن أنتبه لهذه الظاهره إلى أن سُئلت ذات يوم: كم هي مصروفاتي الاضافية لشراء المواد التموينية ؟ فأجبت بأني لم أصرف ديناراً واحداً منذ سنة ، فقوبل جوابي بالدهشة فعدت فتحققت من الأوعية فكانت ملأى بالتموين فتيقنت أن بركة التكثير حلت فيها ولكن إخباري عن هذه الظاهرة كلفني زوالها فكنت في الشهر التالي مباشرةً من أول المتبضعين للمواد الغذائية التكميلية وأدركت السر في زوال هذه النعمة بعد رجوعي إلى الأحاديث النبوية الشريفة المذكورة آنفاً التي تقضي بعدم الكيل للأوعية التي حلت فيها بركة التكثير أو حتّى الإخبار عنها وصدق رسول اللّه ﷺ القائل (اللهم إنيّ لا أسالك الزيادة في الرزق ولكني أسألك البركة فيه) وبركته ﷺ في التكثير لم تشمل الماء والطعام فقط بل شملت الصحة والأعمار والذرية كما في دعائه لأنس بن مالك رضي اللّه عنه ودعائه للسائب بن يزيد ومسحه بيده على رأسه فطال عمره حتّى بلغ أربعاً وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل ولم يشب منه موضع أصابته يد رسول اللّه ﷺ ومُتعً بحواسه وقواه (ابن كثير) .

وشملت بركة التكثير أيضاً العلم كما في دعائه ﷺ لترجمان القرآن عبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه عنهما (اللهم فقّهْهُ في الدين وعلمّه التأويل) وكما في دعائه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم اللّٰه وجههُ فعن أبي البختري ، عن علي بن أبي طالب قال : بعثني رسول اللّٰه ﷺ إلى اليمن ، فقلت : يا رسول اللّٰه تبعثني إلى اليمن ويسألوني عن القضاء ولا علم لي به : قال : أُدنُ ، فدنوت فضرب بيده على صدري ، ثم قال : اللهم ثبّت لسانه واهدِ قلبَه ، فلا والذي فَلقَ الحبّة وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بين اثنين بعد (أسد الغابة) (لابن كثير).

بل أن بركة التكثير شملت حتى العاطفة ففي رواية للبيهقي عن رجل وامراة بينهما جفوة وفيه (... فقال لها رسول اللّٰه ﷺ :أتبغضينه ؟ قالت : نعم ، فقال رسول اللّٰه ﷺ : أدنيا رؤوسكما ، فوضع جبهتها على جبهة زوجها ثم قال : اللهم أَلفّ بينهما وحَبّب أحدهما إلى صاحبه) (ابن كثير).

أما بالنسبة لكسر بعض النواميس الطبيعية فنجد في سير الصحابة رضوان اللّٰه عليهم والتابعين من الخوارق ما لا نجده لدى غير المسلمين ومن أمثلة ذلك امتلاك طاقة جسدية هائلة عند الحاجة لها فقط مثل فتح باب خيبر من قبل الإمام علي بن أبي طالب كرم اللّٰه وجهه بقدرة جسدية زادت على قدرة عشرة رجال ومن أمثلتها الرواية المأثورة عن الإمام علي زين العابدين فقد اندرج أئمة أهل البيت عليهم سلام الله ورضوانه على الرضا الخالص مع قوة الكرامة ورفعة القدر عند الله ، فقد صح عنه رضوان الله عليه عندما اقتيد إلى سجنه مكبلاً بالأغلال فدخل عليه الزهري (وهو من شيوخ الإمام البخاري) يوادعه فبكى وقال : وددت أني مكانك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تظن أن ذلك يكربني ؟ لو شئت لما كان ، وإنه ليذكرني عذاب الله تعالى ، ثم أخرج يديه ورجليه من القيد ثم أعادها ، فعلم الزهري رحمه الله أن الإمام حل منزلة الرضا ووصل مقام التسليم المحض ، ودخل حضرة الفوز العظيم فطاب صدره وسلا حزنه (الحكم الرفاعية).

ومن أمثلة كسر النواميس أيضاً التعطيل مثل تعطيل فعل السم لمّا حاصر خالد بن الولـــيد رضي اللّه عنه حصناً منيعاً فقالوا له لانسلم حتّى تشرب السم فشربه فلم يضره (الدوري وعليان) ومثل تعطيل فعل الحرق بالنار كما في رواية أبي مسلم الخولاني المعروفة عندما ألقاه مسيلمة الكذاب في النار ، ومن أمثلة التعطيل المعاصرة الحجب ، حيث يروى عن الشيخ محمد نايف المعماري أنه كان يجمع قطيع الاغنام لقريته ويطوف حوله ويطلقه فتمتنع عنه الذئاب .

ومن أعطر الخوارق الدينية وأزكاها وأطيبها عرق النبي ﷺ حيث كان عرقه أطيب من ريح المسك ففي الحديث عن أنس قال : دخل علينا رسول اللّه ﷺ فقال عندنا (من القيلولة) فَعرِقَ وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق ، فاستيقظ النبي ﷺ فقال : يا أم ســليم مـــا هذا الذي تصنعين ؟ قالت : هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب) (أخرجه مسلم) (الذهبي).

وعـــن أنـــس قـــال: (ما مسست بيدي ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رســـول اللّـــه ﷺ ولا شممت ريحاً قط أطيب من ريح رسول اللّه ﷺ) أخرجه البخاري وأخرجه مسلم من وجه آخر عن ثابت (الذهبي) .

ومـــن المكـــارم الإلهية أن نجد أن هذا الخرق الديني الخاص برسول اللّه ﷺ قابل للتوريث أيضاً لعباد اللّه الصالحين فنجد في الرواية :

أنه كان بالبصرة رجل معروف بالمسكي لأنه كان يفوح منه رائحة المسك فسئل عنه فقال : كنت من أحسن الناس وجهاً وكان لي حياء فقيل لأبي لو أجلسته في السوق لانبسط مع الناس ، فأجلسني في حانوت بزاز فجاءت عجوز فطلبت متاعاً فأخرجت لها ما طلبت ، فقالت : لو توجهت معي لثمنه ، فمضيت معها حتّى أدخلتني في قصر عظيم فيه قبة عظيمة عليها سرير فأذا فيه جارية على فرُش مُذهبة فجذبتني إلى صدرها فقلت : اللّـــه ، فقالـــت : لا بأس ، فقلت : إني حاقب ودخلت الخلاء وتغوطت ومسحت به وجهي وبدني ، فقيل أني مجنون فخلصت ، ورأيت بمنامي في تلك الليلة رجلاً قال لي :

أين أنت من يوسف بن يعقوب ؟ ثم مسح يده على وجهي وبدني فمن ذلك الوقت يفوح المسك عليّ من رائحته (البروسوي) .

ومن الأمثلة المعاصرة ما حدثني به الشيخ سالم محمد عن رجل يمتاز برائحته الزكية التي تعبق المكان الذي يرتاده وهو السيد حسين المشهداني.

إن الخـــوارق الدينـــية كما ذكرنا متوارثة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد نشخص حالة خارقة للعادة عند أحد الأولياء فنظن أن هذه الحالة هي الوحيدة لديه مثل تحريك الأشياء أو صاحب الخطوة ، لكن يبدو أن الولي يمتلك جميع هذه القدرات لكن يستحيي من اظهارها للناس ولكنها تنقل عنه من خلال طلابه أو أقاربه فقد حدثني الشيخ ســـالم محمد مصطفى أيضاً عن جده لأمه وهو السيد داود سليمان علي أنه كان يمتلك قدرة التخاطر وتحريك الأشياء وإبطال ناموس الحرق للنار والتنبؤ حيث تنبأ أن لا يعيش لـــه ولد ذكر وفعلاً كانت ذريته من الإناث فقط ، كما كان صاحب خطوة أيضاً حيث اشتهر بانتقالاته إلى بيت المقدس والعودة في يوم وليلة ومن الخوارق المعاصرة أيضاً حادثة تعطيل فعل النار للسيد سيدان النعيمي.

مناقشة الظواهر الباراسايكولوجية :

لـــو حاولـــنا استعراض جميع الظواهر الباراسايكولوجية لوجدنا أنها تتفق تماماً مع النظـــرية الجديـــدة باستثناء ظاهرة الخوارق الدينية فهي محض عطايا ربّانيّة منحت نتيجة الدعاء أو المعونة الإلهية فلو ناقشنا ظاهرة التنبؤ بمصادرها الأربعة لوجدنا أن النظرية تجلو الغموض عن هذه الظاهرة وتفسرها تفسيراً منطقياً فالمصدر الأول للتنبؤ (المصدر الذاتي) مـــا هو إلا عملية استذكار للخزين الذاتي لأحداث الكتاب الأول وقد يكون الاستذكار غـــير مقصود مثل رواية الكاتب عن الباخرة تيتانك وتحديد مصيرها قبل إنشاء الباخرة أصـــلاً باربـــع عشرة سنة ومثل رواية الطالب الذي تنبأ باصطدام طائرتين وحدّد التاريخ وعـــدد الضحايا أو قد يكون الاستذكار مقصوداً مثل ظاهرة نوستر أداموس الذي يعتمد

علـــى التركيز الذهني والصفاء الروحي أو قد يكون الاستذكار نتيجة لحادث ارتجاج لآلة خزن الكتاب الأول وتسربت بموجب هذا الارتجاج بعض معلومات الكتاب الأول مثل الـــرجل الـــذي سقط فأصبح عرافاً ، أما المصدر الثاني للتنبؤ وهو الاتصال بالجن فمن المنطقي أن قدرة الجن على الاطلاع على الكتاب الأول أعلى من قدرة الإنسان لذا فإنه يطلـــع ثم يُطلـــع وليّه من الأنس وكلا المصدرين لا يعتد بهما لأن المصدر الذاتي خاضع لتشويش الجن والشياطين والمصدر الثاني خاضع للإيهام من خلال خلط الجن لمعلومات صحيحة بالعديد من المعلومات الكاذبة ونقلها إلى الكاهن أو من يتصل به من الإنس وان هـــذا التشويش والايهام يبطل جميع تنبؤات العرافين والكهّان ولولا ذلك لأصبح العرافون مـــن أثرى الأثرياء لاستغلالهم قدراتهم هذه في المجال المادّي أما المصدر الثالث للتنبؤ فهو الـــرؤى الصادقة وبموجب النظرية نستدل على أن الرؤية الصادقة جلاء محدود عن غطاء الذاكـــرة لخزين الكتاب الأول تنتقل بموجبه المعلومة إلى النائم وبصورة صحيحة تماماً ، ولكـــن هذا المصدر أيضاً لا يخلو من عبث الشياطين فكما يتلبّس الشيطان على المصدر الذاتي للتنبؤ يتلبس على ما يراه النائم فيريه أضغاثاً هي الأحلام الباطلة وهي معلومات غير صادقة مقارنة مع الرؤى الصادقة التي هي من المبشرات.

أما المصدر الرابع للتنبؤ وهو الالهام الرباني فهو أصدق المصادر وأوثقها لأن دعاء الاستخارة مثلاً بموجب هذه النظرية يعني الرجاء من الله عز وجل أن يكشف للداعي عن خزين الكتاب الأول لديه على قدر ما يتعلق الأمر بموضوع استخارته والكشف قد يكون رؤيـــا مـــنام أو الهام رباني يلتمس الداعي أثره في قلبه فيميل إلى أصوب الأمرين اللذين اســـتخار الله فـــيهما وكذلك العبد الصالح والوليّ تكون قلوبهم معلقة بالله تعالى وتصفوا أرواحهم فيتجلى لهم بإذن الله بعض آثار الكتاب الأول يستدلون عليها ويعتمدون عليها في مـــسيرتهم في ظاهرة اصطلح عليها (الفراسة) كما في تنبؤ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعمر بن عبد العزيز وأمثلة أخرى كثيرة ، وإن أسمى حالات القرب إلى الله والصفاء الروحـــي هي عند الرسل الكرام لذا نجد أحاديث الرسول ﷺ تُنبئنا بما سيكون إلى قيام

الساعة ولكن الكشف لرسول الله ﷺ معجز لأسباب أولها أنه ممتد في المستقبل إلى حد علامـــات الساعة بل وما بعد قيام الساعة من حساب ومآل إلى الجنة أو النار والثاني أنه كـــشف للماضـــي السحيق أيضاً حيث أخبرنا ﷺ عن ما مضى من أخبار الأمم السالفة والـــثالث التحقق التام للكشف أو التنبؤ ولو قارنا ذلك مع قدرة أشهر المتنبئين في تاريخ العالم وهو نوستر أداموس نجد الآتي :

١. أن تنـــبؤاته امتدت لزمن مستقبلي لم يتجاوز الألف عام على أقصى تقدير مـــنها تنـــبؤه بهتلر ونابليون ، وهذا الامتداد الزمني يدعم النظرية الموضوعة في أن أحـــداث الكـــتاب الأول مسجلة في ذاكرة البشر منذ ولادتهم ولما بعد وفاتهم أي تتـــضمن عالم البرزخ ولولا ذلك لكانت تنبؤات نوستر أداموس على قدر حياته التي عاشها ، أما تنبؤاته ﷺ فممتدة إلى حد ما بعد الحساب من ثواب أو عقاب.

٢. إن الاعجاز في الكشف عن الماضي لرسول الله ﷺ هو إلهام ربّاني يعجز عـــنه البشر لذا نجد أن أي متنبئ لم يجرؤ على الحديث عن الماضي وهذه ملاحظة جديـــرة بالـــتدوين لأنه من المنطقي والأسهل أن يتحدث شخص يمتلك مثل هذه القـــدرات عن الماضي البعيد الواقع فعلاً بدلاً من الحديث عن المستقبل غير الواقع وهـــذه الملاحظة تدعم النظرية الموضوعة لأن خزين الكتاب الأول لدى أي أنسان يـــبدأ من ساعة ولادته لذا فهو يجهل ما حصل قبل ولادته (الاّ من خلال ما يقرؤه عن الماضي) وبذلك فإنه يعجز عن الابلاغ أو التنبؤ بالماضي مع استثنائنا للمتصلين بالجن حيث يستطيع الجن إيصال بعض المعلومات عن الماضي إلى الكاهن ولكن هذا من المصدر الثاني للتنبؤ ، كما بيّنا ذلك في بداية تصنيفنا لظاهرة التنبؤ .

علـــى الـــرغم مـــن تحقق الكثير من تنبؤات نوستر أداموس إلا أنهُ بشر خاضع لتلبـــيس الـــشياطين والجـــن علـــى تنـــبؤاته لذا نجد ببساطة أن أشهر تنبؤاته التي كان العـــالم يتـــرقبها ســـقطت ولم يظهـــر لهـــا ولا حتى دلالة بسيطة ونبوءته تقول (مثل ملـــك الغـــزاة العظـــام الهائـــل ، في عام ١٩٩٩ في الشهر السابع سيهبط ملك الفزع

العظيم من السماء ، في هذا الزمن سيحكم مارس لصاحب قضية الحق) ، في حين تنبؤات الرسل صادقة ومتحققة جميعها .

أما بالنسبة لظاهرة الجلاء البصري (الاستبصار) بنوعيها فإنها تتفق تماماً مع النظرية الموضوعة فالنوع الأول من الاستبصار المتضمن القدرة على الرؤية دون استخدام عضو حاسة البصر أي العين ما هو إلاّ استرجاع داخلي لمضمون تلك اللحظة في الكتاب الأول فلو عرض على صاحب هذه القدرة وهو معصوب العينين كتاب أو زهرة أو قلم فإنه سيستدل على هذه الأشياء من خلال الاسترجاع الداخلي لهذه اللحظة في الكتاب الأول لا أن يستدل عليها من خلال انتقال حاسة البصر من عينه إلى جلده كما تقول بعض التفاسير لهذه الظاهرة والنوع الثاني من الاستبصار وهو القدرة على الرؤية مع اختراق حاجز المكان أي تستطيع أن ترى بغداد وأنت جالس في الموصل غير معصوب العينين هو أيضاً استرجاع داخلي لما مدون في تلك اللحظة في الكتاب الأول ولكن في موقع آخر يبعد عن موقعك ، ونشبّه هذه الحالة بمن يمتلك جهاز تلفاز ذُو استقبال عالمي يستقبل جميع قنوات العالم ويختار بإرادته القناة المفضلة له ، وكذلك الأمر مع الجلاء السمعي والصوتي و التخاطر ، وإن انتقلنا إلى ظاهرة تحريك الأشياء باراسايكولوجياً (السايكوكينزيا) لوجدنا أن الأمر يختلف عمّا سبقه من الظواهر ذلك أن الاختراقات السابقة اختراقات روحية مع ثبات الجسد لكن في السايكوكينزيا نجد اختراقاً روحياً وجسدياً معاً ونضرب مثلاً مأثوراً ومشهوراً للعديد من الصالحين الموصوفين بأنهم أصحاب خطوة مثل (أبو عجة) في سامراء وقسم منهم لا زالوا حتّى يومنا هذا ، فصاحب الخطوة ينتقل من مدينة كالموصل إلى بغداد بلمح البصر وببسملة من شفتيه ولو أراد العودة لعاد بلمح البصر أيضاً ، والعجيب أن كل ما يحمله صاحب الخطوة سواء كان حقيبة أم كيساً أم إناءً ينتقل معه ويعود معه ناهيك عن ملابسه بالطبع ، ماذا يعني هذا

استناداً إلى النظرية الموضوعة ؟

ان هـــذا يعني أن هناك رحلتان رحلة ذهاب انطلقت من الموصل في الكتاب الثاني الحالي إلى بغداد في الكتاب الأول القديم المخزون فلو تمت العودة إلى الموصل في الكتاب الـــثاني الحالي كان الأمر عبارة عن استبصار أي رؤية بغداد وأنت جالس في الموصل لأن رحلـــة الـــذهاب والأياب لا تستغرق أكثر من بسملة ولمحة بصر ، ولكن ما يحصل عند صاحب الخطوة هو أنه في رحلة عودته من بغداد في الكتاب الأول القديم يختار العودة إلى بغداد في الكتاب الثاني الحالي وليس الموصل ، وبذلك فإنه سينتقل من الموصل إلى بغداد بلمـــح البـــصر مستخدماً قدرة اتصالة بالكتاب الأول ، ومهما امتد الزمن الذي يقضيه المنتقل في رحلة الكتاب الأول فإنه يستطيع العودة إلى الكتاب الثاني في زمن لحظة انتقاله الأولى .

أي لـــو انتقل الوليّ من الموصل في يوم الأول من ذي الحجة بعد صلاة الفجر إلى مكـــة المكرمة من خلال اتصاله بالكتاب الأول وقضى في مكة مناسك الحج لاستطاع العودة إلى الموصل في يوم الأول من ذي الحجة بعد صلاة الفجر وبذلك فإنه سيشاهد في مكة المكرمة مع الحجيج طيلة أيام مناسك الحج وسيشاهد في الموصل وكأنه لم يغادرها قـــط ، وبـــذلك نـــستطيع أن نفهم ظهور الخضر عليه السلام في أكثر من موقع وزمان ونستطيع أن نفهم كيف تم نقل عرش بلقيس بأقل من لمحة بصر فعفريت الجن كانت قدرته في الـــنقل معتمدة على قواه الجسدية المحكومة بثقل العرش وبعد المسافة لذا قدّر إنجازه للعمل بساعتين أو أربع على قدر مدة مجلس سليمان عليه السلام ، أما العبد الصالح وزير سليمان (آصف بن برخيا) فلقد كان لديه علم من الكتاب أي لديه القدرة على الاتصال بالكـــتاب الأول فهـــو يستطيع الانطلاق إلى موضع العرش في اليمن في الكتاب الأول وبمجرد ملامسته له أو جلوسه عليه يصبح العرش جزءاً منه ، تماماً مثل الحقيبة أو الكيس الـــذي يحمله صاحب الخطوة الذي ينتقل معه وكأنه جزء منه وكما هي رحلة الذهاب بجزء من طرفة عين فإن رحلة الإياب لا تستغرق أيضاً سوى جزء من طرفة عين لذا قال

الـــذي لديـــه علـــم من الكتاب لسليمان عليه السلام ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك﴾ ونتوقف هنا لنضع ثلاثة أسئلة جوهرية نحاول الاجتهاد في الإجابة عنها:

س١ : ما الفرق بين الرجل الصالح صاحب الكرامة والرجل العادي صاحب القدرة الخارقة غير المألوفة ؟

إن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة تقرّ بالقدرات الخارقة لغير الأولياء بل تقرها للكفار والمنافقين أيضاً ، فكتب العقائد الإسلامية تبين أن الأمور الخارقة للعادة لا تخرج عن الظواهر الخمس الآتية :

١. المعجـــزة: أمر خارق للعادة يقصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله .

٢. الكرامة: أمر خارق للعادة يظهر على يد الوليّ غير مقترنة بدعوى النبوة أي لا يدعي صاحبها النبوة بل يخجل منها ويسترها

٣. المعونة: ما يظهر على يد العوام تخليصاً لهم من شدةّ .

٤. الإهانـــة: وهي ما يظهر على يد فاسق أو كافر كما وقع لمسيلمة الكذاب حين بصق في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة .

٥. الاستدراج: وهو الفيصل بين كرامة الأولياء والقدرات الخارقة لغير الأولياء والاستدراج هو ما يظهر من أمور خارقة للعادة على يد فاسق أو كافر اســتدراجاً له من الله ليزيد في غيّه حتى يأتيه أمر الله وهو غافل (العقائد) وفي الحــديث (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحبّ فإنمّا هو استدراج ثم قرأ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْـنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾

(صدق الله العظيم) أخرجه الإمام أحمد .

ومن ظاهرة التنبؤ بالغيب يستوقفنا السؤال الآتي :

س٢ : ما هو الغيب وما معنى قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) ، وهل الغيب أنواع وهل هناك من يستطيع أن يخترق هذا الغيب بوسائله البشرية أم أن هذا سر من أسرار العظمة الإلهية ؟

ويجيب عن هذا السؤال فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله حيث يقول:

ج- الغيب نوعان : غيب مطلق وغيب مقيد .

الغيب المطلق: هو الذي لا يعلمه أحد سوى الله عز وجل .

الغيب المقيد: هو ما يعلمه البعض ويجهله البعض .

فـــاذا عـــرفت أن هذا الغيب المقيد (مثل الاستدلال على سارق) فمن الجائز أني اتصلت بقوة من يستطيع أن يعلم ويخبرني ، وليس هذا غيباً فمن الناس من يستعين بالجن فهو يكلفهُ ليعرف أخباراً يخبره بها وهذه الأخبار لها واقع معلوم عند البعض .

وكـــذلك هناك (مُعَلَّمُ غيب) فيكون الله سبحانه قد ألهمه بشيء سوف يحدث في المستقبل ولا علم لأحد به فهذا (مُعَلَّمُ غيب) . أما (عالم الغيب) فيعلم بذاته وقال تعالى (لا يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) ومثل هذا الإنسان يُظهر الله سبحانه وتعالى عليه بعض الأشياء ولكنك لا تجد عنده أجوبة عن كل ما تريد لأنهّ لا يملك سوى مـــا أراد الله ســـبحانه وتعالى أن يطلعه عليه ويبشره به ولاشيء في أن يخبر هذا الإنسان الطـــيب مـــا بشره الله به لأحد والغيب حدث في الماضي أو حدث في المستقبل فعندما يخـــبرك بشيء مضى فيكون قد خرق حجاب الزمان الماضي وعندما يخبرك بالمستقبل يكون قد خرق حجاب المستقبل ، أما الحاضر فإنه خرق للمكان .

الخلاصة: الغيب المطلق لا يعلمه سوى الله فلا يقال لعرّاف أو لوليّ أنه عالم غيب ولكنّه مُعَلمّ غيب. (الشعراوي ، الفتاوى)

ويقـــول الإمام تقي الدين ابن تيمية : العلم نوعان علم تحصيلي يشترك الجميع في تحصيله بالتعليم ، وعلم مخصوص لا يشترك فيه كل الناس فالله سبحانه وتعالى يعلّم بعض خلقه منه مباشرة فيقول سبحانه وتعالى ﴿وعلّمناهُ من لَدُنّا علماً﴾ (الكهف: ١٥) وهذا

الشخص سوف لا يكون عالم غيب بل يُعَلَّم غيباً وعطاء الله ليس مطلقاً بل يعطي أولياءه ما يستديم حاجتهم إليه دائماً لئلا يُفتنوا (المعجزة و كرامات الأولياء) .

ولعـــل من أوضح التطبيقات اليومية على التنبؤ بالغيب التي هي بمقدور أي مسلم دعاء الاستخارة .

س٣: كيف امتلك كلاً من الرجل الصالح والرجل الفاسق أو الكافر هذه القدرات الخارقة للعادة من تنبؤ واستبصار وتحريك أشياء وجلاء سمعي وما مدى الفائدة المرجوة من استغلال هذه القدرات ؟

ج- إن كيفـــية أو وســـيلة امتلاك القدرات الخارقة للعادة باجتهادي الشخصي لا يتعدى اتباع رياضة واحدة لكل من الصالح والطالح وهي مجاهدة النفس ، فالإنسان مخلوق ذو شـــقين روح وجسد والإنسان الاعتيادي هو من وازن بين متطلبات روحه وجسده وهـــم الأغلبـــية والإنسان الفاسق هو من تغلبت رغباته وغرائزه وشهواته الجسدية على متطلـــباته الروحية وكلا المثالين الإنسان الاعتيادي والإنسان الشهواني بعيدان تماماً عن القـــدرات الخارقة ، أما المثال الثالث فهو الإنسان الذي جاهد رغباته الجسدية وعارضها ســـواء كانت تلك المعارضة للرغبات البيولوجية من مأكل ومشرب وجماع أو للرغبات الاعتبارية كحب الذات والتكبرّ في المشي والمجالس والتكلّف في الملبس ، وبدوام معارضة الرغبات الجسدية سيسمو الشق الروحي على الشق الجسدي فيمتلك هذا الإنسان الصفاء الروحـــي الذي يمكّنه من الاتصال بالكتاب الأول وكلماً اشتد في مجاهدة جسده ورغباته كلمـــا ارتقى منزلة أعلى في الصفاء الروحي وامتلك قدرات أعلى ، ولدعم هذا الاجتهاد نجـــد أن غالبية الكهنة والعرافين هم من الذين يشكون من عطل جسدي تام (مثل شق وســـطيح) أو شبه تام كالإصابات مثل العراف بيترفان الذي سقط من السلم أو السيدة ميخائـــيلوفا الذي ظهرت قدراتها بعد إصابتها في إحدى المعارك أما الذين لا يعانون من إعاقـــة جسدية فإنهم يجاهدون أجسادهم ويعذبونها للوصول إلى الصفاء الروحي ولدعم هـــذا الاجتهاد أيضاً أثبت رأيين لعالمين الأول قديم وهو لابن خلدون في مقدمته (مقدمة

ابن خلدون) التي أشار فيها إلى القدرات الخارقة للمتصوفة من المسلمين ولبعض الكهنة والوثنـــيين (مـــع الفارق الكبير) ونبّه إلى أن هناك تشابهاً في أسلوب معيشة كلا الطرفين المتناقـــضين عقائـــدياً ألا وهـــو مجاهدة النفس ، والرأي الثاني معاصر للدكتور الحارث عبد الحميد حيث يقول : ويبدو أن هناك تشابهاً كبيراً بين الطرق الصوفية وطرق اليوجا حـــيث أن كلـــيهما يعتمد على مبدأ التمرين على طريق المجاهدة وتطويع النفس وبذلك تـــنطلق القوى الكامنة المسيطرة ، وكلا المنهجين يعتمد مبدأ السرية في تطبيق التمارين (مجلة الباراسايكولوجي والحياة ، العدد ١١ السنة ١٩٩٩) .

إن القوى الكامنة والسريةّ التي أشار إليها الدكتور الحارث هي باجتهادنا الاتصال بالكتاب الأول من خلال كبت الشق الجسدي وسمو الشق الروحي ولتأكيد اجتهادنا أيضاً نثبت المقدمتين الآتيتين:

١. لم يثـــبت التاريخ وكتب السيرة أي اتصال بين النبي محمد ﷺ وبين الـــبوذيين أو الهندوس ولم تثبت كتب البوذيين أو الهندوس مثل هذا الاتصال لذا فمن المؤكد أن كلا الطرفين (مع الفارق بينهما) لم يأخذ عن الآخر شيئاً .

٢. أن الـــنبي ﷺ لم يطلـــع دنيوياً على حضارة وادي النيل وحضارة وادي الرافدين المنقرضتين إبان عصره ﷺ ولم يطلع على تماثيل لأشخاص من تلـــك العـــصور وهـــو أمر بديهي لبعد الحضارتين عن عصر الإسلام ولتحريم الإسلام للتماثيل .

هـــنا نقول ألا يحق لنا أن نعجب من أن اللباس الديني للهندوس والبوذيين وكهنة بابـــل وكهـــنة الفراعنة هو لباس واحد يشمل إزارين يلف الأول الخصر والساقين ويلف الثاني الصدر مع كشف الذراع الأيمن !!! .

ثم ألا يحـــق لنا أن نعجب من أن جميع رجال الدين الهندوس والبوذيين والفراعنة والبابليين والآشوريين لا يرتدون الجوراب وينتعلون النعال ذو الإصبع الواحد !!!! .

ثم ألا يحق لنا أن نعجب من أن رجال الدين الهندوس (نضرب مثلاً غاندي والهندوسيين المتدينين) والبوذي (نضرب مثلاً تمثال بوذا ورجال الدين البوذيين) والفرعوني (نضرب مثلاً تماثيل كهان الفراعنة) والبابلي (نضرب مثلاً تماثيل كهنة بابل وآشور) هم جميعاً حليقي الرأس ، ماذا يعني هذا ؟

النتيجة: يعني والله اعلم أن هذا السمو الروحي الذي وصل إليه كبار رجال الدين والكهان من خلال مجاهدتهم الجسدية والنفسية مكنتهم من الاطلاع على الكتاب الأول القديم المخزون واختاروا من هذا الكتاب أفضل زي ديني لأشخاص سمت مرتبتهم في الكتاب الأول القديم فكان هذا الزي هو المختار والمنقول من الكتاب الأول.

ولا أدري أنتعجّب أم نتساءَل أم نبشّر ! أليس هذا زي حجيج بيت الله الحرام وقد أفاضوا من عرفات محلقين رؤوسهم كاشفين أذرعتهم اليمنى منتعلين النعال ذي الإصبع الواحد ؟

إن اطلاع رجال الدين والكهان على الكتاب الأول على امتداد أزمنتهم التي سبقت الإسلام بقرون أوصلتهم إلى هذا الزي المحدّد من الله عز وجل في الحياة الأولى والذي اختص به المسلمون في حجّهم لبيته الحرام .ولكن قد يسألنا سائل فما بال البوذيين والهندوس الحاليين لا يؤمنون وهم لهم قابلية الاطلاع على الكتاب الأول ؟

ونجيب لأن وسيلتهم في الوصول إلى الكتاب الأول ناقصة فهي تقتصر على مجاهدة رغبات الجسد والنفس دون الإيمان بالله لذا فهم يّطلعون على بعض الحق لكن تجتالهم الشياطين فتشوش عليهم ففي الحديث (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) (رواه البخاري) لا ينجو من وسوسته إلاّ من استعاذ بالله منه فتنجلي له الرؤية الواضحة الصادقة وبهذا يتميز أصحاب الكرامات عن غيرهم من أصحاب القدرات الخارقة فصاحب الكرامة محجوب عن الشياطين بالاستعاذة في حين تتلبس الشياطين وتستدرج أصحاب القدرات الخارقة من غير المؤمنين وهنا ننبّه إلى أن صاحب القدرة الخارقة سواء كان وثنياً أو ملحداً فهو الأقرب إلى الاهتداء والإيمان لأنه توصل بمجاهدته لنفسه إلى قدرة الاتصال

بالكتاب الأول لكن اتصاله مشوش بتلبس الشياطين فإذا استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وكـــان على طهارة جَسد ومستحضراً للنيّة الصادقة زالت عن بصيرته غشاوة الشياطين فتجلت له الرؤية الواضحة الصادقة فآمن ، ولقد حذّر رسول الله ﷺ من اللين في المعيشة فأمر بمجاهدة شهوات الجسد بقوله ﷺ في الحديث الصحيح (اخشوشنوا ، اخشوشنوا) فمجاهـــدة الـــنفس المـــرتبطة بالإيمان بالله استخدمت من قبل الأولياء في إظهار بعض الكـــرامات كوسيلة للدعوة إلى الله ، واستخدمت في الانتقالات الخارقة للعادة (صاحب الخطـــوة) ، كمـــا استخدمت أيضاً في معارك المسلمين الأوائل وبالإمكان استخدامها مـــستقبلاً ، فـــإن أي جيش مستقبلي يصل أفراده أو قسم من أفراده إلى الصفاء الروحي الكامـــل سيكون ذو قدرة روحية متميزة وذو جلاء سمعي خارق حتىّ يستطيع أن يسمع الحجـــر والشجر ويحاورهما ويستخدمهما دليلاً في المعركة وهي من الفوائد المرجوة من استغلال هذه القدرات إضافة إلى آفاق أخرى مثل استخدام ظاهرة الاستبصار في المعارك كاستخدام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لها واتصاله بصرياً بأرض المعركة في بـــلاد فارس واستخدامه كذلك الجلاء الصوتي في إيصال صوته إلى قائد جيشه سارية وتغييره لسير المعركة ، إذن هي دعوة لأولياء الله الصالحين لاستغلال قدراتهم في الدعوة إلى الله وصـــيانة الأمة من أعدائها ولهم في صحابة رسول الله ﷺ والتابعين أسوة حسنة ونقـــيس حكمنا على رواية يا سارية الجبل وعلى فتح خيبر على يد الإمام علي كرم الله وجهه وعلى فتح حصن على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه باشتراط شربه السم فشربه ولم يضره وعلى سير جيوش المسلمين على الماء مثلما صنع أبو مسلم الخولاني وقتيبة بن مسلم وعلى استخدام الفراسة في التخاطر وقراءة ما في ذهن الآخرين ولها أكثر من رواية مـــؤكدة لدى الصحابة والتابعين ، إذن يستطيع الجيش المسلم المسلح بالصفاء الروحي علـــى قلـــة عـــدده وعتاده من قراءة أفكار العدو وخططه وقطع العوائق الطبيعية بيسر والاتصال والرؤية والسماع عن بعد بل وأهم من ذلك كله قدرة الانتقال إلى قلب عسكر العـــدو وتعطيل أو نقل ما يشاؤون ثم العودة بأقل من طرفة عين وقياسنا على ذلك نقل

عرش بلقيس وكرامة صاحب الخطوة المعاصرة ، وهذا ما سيتحقق فعلاً إذ ستنهار الحضارة المادية الجسدية وتبقى الحضارة الروحية هي السائدة لذا ستكون حروب آخر الزمان كما أنبأنا رسول الله ﷺ حروباً بالسيف والرمح وعلى ظهور الخيل وفي الحديث الشريف (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) (حديث مسلم) بل أن ولي الله إن عاداه فرد أو عادته دولة وقررّ أن يخوض حرباً مع ذلك الفرد أو تلك الدولة المعادية فإن عدوه مهزوم لا محالة ، قال تعالى في الحديث القدسي على لسان المصطفى ﷺ (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) ، والوليّ جليس الملائكة تدنو لتلاوته ينظر إليها (حديث أسيد بن حضير) وتصافحه وهو على فراشه وفي طريقه (حديث حنظلة الأُسيدي)

وقد يستغرب البعض من هذا الطرح ولكن سيكون استغرابه أشد عندما يعلم أن أكثر الدول المتقدمة علمياً أقرت بهذه القدرات فبعد وضعي للكتاب والآفاق المستقبلية لاستخدام كرامات الأولياء في المعارك المستقبلية للأمة اطلعت على كتاب (حروب العقل) فإذا به يحمل تصورات عن استخدام القدرات الخارقة في المعارك والكتاب صادر في الثمانينات وترجم إلى العربية عام ١٩٨٨ ويتحدث عن كتيبة افتراضية مقاتلة من نوع خاص سميت كتيبة الأرض الأولى وهي فكرة المقدّم جيم شانون من الجيش الأمريكي ، ففي عام ١٩٧٩ عُين شانون لاستقصاء الإمكانات الإنسانية المحتملة لقوة (دلتا) وهي مؤسسة من ضباط وعلماء مستقبليين وعلماء نفسيين شكلت لدراسة إمكانيات التكنولوجيا الحديثة لحل مشاكل كادر الجيش التي كانت خطيرة حينذاك ، وتقول باربرا ماركس هوبارد، وهي عالمة نفسية تشتغل في قوة (دلتا) إن كتيبة الأرض الأولى الافتراضية يمكن أن تقصف السوفيت (الكتاب صدر قبل انهيار الاتحاد السوفيتي) بالمحبة النفسية الخارقة بدلاً من الكراهية والشكوك ، ولقد تبنّت قوة مهمات دلتا هذه الفكرة فكانت ولادة فكرة كتيبة الأرض الأولى ويصور المقدم جيم شانون معركة مستقبلية لهذه الكتيبة فيقول : يصوت مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لصالح قرار وضع قوة لحفظ السلام بين دولتين متنافستين والقوة مكونة من ثلاثة آلاف رجل ، لكن وكالة المخابرات

الأمريكية المركزية تتوقع نشوب الحرب قبل وصول قوة حفظ السلام ويجب على الرئيس أن يتــصرف الآن وأن ينشر الرهبان الحربيين التابعين لكتيبة الأرض الأولى ، ومن (محطة الأرض الأولى) في مدينة سانتافي في ولاية نيومكسيكو يخرج أول عشرين راهباً مقاتلاً من بــين حــشد مــن الصحفيين إلى طائرة تنتظرهم نصفهم مدنيون ونصفهم عسكريون ، نــصفهم رجال ونصفهم نساء ، صغيرهم في الرابعة عشرة من عمره وكبيرهم سيحتفل بعيد ميلاده الخامس والسبعين في الطائرة جميعهم مدربون على المظلات ويمتلكون ذكاءً متفوقاً وقدرة على اتخاذ قرارات منطقية في أقسى ظروف الحياة والموت ، إنهم جاهزون للقــتال لكنهم يعرفون أن قوة السلاح أضعف طاقة يمتلكونها وأن القوة الأكبر هي قوة الحــب ، لقد أقسم كل منهم على دعم عقيدة (الكوماندوز العظماء والرهبان الفدائيين) (حروب العقل) .

إن هــذا الطرح الغربي المعاصر الذي يسعى لتطوير القدرة الروحية واستغلالها في المعــارك ســبقه بقرون النبوءة الإسلامية المحمدية التي أكدت بوضوح لا تقبل اللبس أو الاحالــة للمجــاز أن المعارك المستقبلية ستكون على مرحلتين ، الأولى العودة للسيف والرمح والخيل ، والثانية الاستغناء عن هذه الأسلحة والاكتفاء بالقدرة الروحية فقط ضمن معــركة قــد تكون من معارك آخر الزمان ، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة : روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب في البحر ؟ قالو:نعم يا رسول الله ، قال :لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون الفاً من بني إسحق فإذا جاءوا نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم . قالوا: لا إله إلاّ الله والله أكبر ، فيسقط أحــد جانبيها (قال ثور – راوي الحديث: لا أعلمه إلاّ: قال الذي في البحر) ثم يقولوا الثانية لا إله إلاّ الله والله أكبر ، فيسقط جانبها الآخر ، ثم يقولوا الثالثة لا إله إلاّ الله والله أكــبر فيفــرج لهم فيدخلوها ، فبينما هم يقسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون).

ب - إثبات الفرضية سايكولوجياً

كمـــا هو شأن علم الباراسايكولوجي وعلم العقائد فإن علم النفس يقف متسائلاً أمام الكثير من الظواهر المستعصية الإجابة ونؤشر بعضاً منها.

١. ظاهـــرة الأحلام وتفسيرها وسر تحقق قسم منها في اليقظة وكما تمت رؤيتها في المنام .

٢. ظاهرة التخاطر عن بعد بين الأشخاص .

٣. ظاهـــرة الإدراك النفـــسي لوجود خطر يحدق بشخص آخر على الـــرغم من بعد المسافة وعدم وجود اتصال بين الطرفين وأمثلته عديدة أشهرها ما تشعر به الأمهات والآباء من ضيق وقلق غير مبرر في ساعة محددة من اليوم ليتـــضح لهـــم أن أحـــد أبنائهم ربمّا في دولة أخرى تعرض لمشكلة أو حادث اصطدام في ذات اللحظة ، أو الشعور بانبساط وترقب لقدوم غائب يصل فعلاً ويـــبلغوه بأنهم كانوا ينتظرون مجيئه رغم عدم اتصاله بهم ولقد اتفق العامّة على استخدام مصطلح لتفسير هذه الظاهرة هو (قلبه أعلمه) أو (قلبُهُ دليله) .

٤. ظاهـــرة الرؤية المسبقة وهذه الظاهرة مشهورة جداً أيضاً حيث لا يـــوجد شخص إلاّ وقد تكررت لديه أكثر من مرة ، ومفاد هذه الظاهرة أنك أحياناً تلتقي بشخص مصادفة وتسلمّ عليه وتسأله بالحاح : أين التقيت بك قبل الآن ، ويجيـــبك بأنه لم يرك من قبل ولكنك تكاد تقسم له أنك رأيته من قبل وقـــد يفاجـــئك بأنـــه من خارج هذه البلدة وأنه يزور بلدتك لأول مرة فمن المـــستحيل أن يكـــون قد التقى بك ، مثال آخر زيارتك لمدينة لأول مرة في حياتك فإذا بك تكتشف أن هذا الزقاق الذي تسير به الآن سبق وأن رأيته من قـــبل وتكـــاد تقسم على ذلك ولكنك بذات الوقت تعلم أن هذه هي زيارتك الأولى لهذه المدينة ، مثال آخر جلوسك في حافلة لنقل الركاب ورؤيتك لسيارة

مسرعة تجتاز الحافلة وتصورك الذهني الفوري أن هذه السيارة ستصطدم بعد لحظات بشاحنة تخرج من شارع فرعي وتُفاجئ بأن هذا تحقق فعلاً بعد تصورك الذهني ، مثال آخر عن اللقاء الأول بين الرجل وزوجته وكيف يشعر كلا الطرفين بأنه سبق له اللقاء مع الطرف الآخر وكأنه يعرفه منذ سنين وعندما عجز الإنسان عن تفسير سبب هذا الشعور قالوا بأنه محبة من أول نظرة وأمثلة كثيرة غيرها .

٥ . بعض الأمراض كانفصام الشخصية بأن يكون للفرد شخصيتين متغايرتين.

٦ . سر الضمير وموقعه وسبب الشعور بالذنب ، فالعقل يعجز عن تفسير هذا الشعور ، ونضرب مثلاً لرجل ملحد لا يؤمن بالله والأديان عموماً يقوم بالتخطيط لعملية سطو مسلح على مصرف بأن يقتل الحارس عن بعد ثم يقتحم المصرف ويسرق المال ويهرب دون أن يترك دليلاً واحداً على شخصيته وفعلاً يقوم بالعملية بنجاح تام وتغلق القضية وتثبت ضد مجهول ، لكننا نجد بعد ذلك أن هذا الشخص ينهار ويسلم نفسه للشرطة ويترجّاهم أن يعدموه ليرتاح من جريمة قتل الحارس لأن ضميره يؤنبه ، إن هذا التناقض بين المخطط العقلي لتنفيذ الجريمة المرتبط مع شخصية المجرم غير المؤمنة بالله والقيم وبين انهياره واعترافه بجريمته استوقف علماء النفس فوضعوا لذلك ولغيره من الأمثلة نظريات تناقش الشخصية الإنسانية منها النظريات السلوكية (نظرية المثير والاستجابة) والنظريات الوجودية والإنسانية (أي فهم الفرد كما يفهم هو نفسه) وأشهر هذه النظريات نظرية التحليل النفسي لفرويد ، وإن تعليل النظرية السلوكية للشعور بالذنب أن السلوك والشخصية في الاتجاه السلوكي هو تعلم أي اكتساب قابل للتعديل والابدال وفق قوانين التعليم ، أما النظرية الثانية (الوجودية) فتفسر الشعور بالذنب بأنه نتيجة حس أو وعي الفرد بعدم قدرته

علـــى تحقـــيق وجوده أو تحرير طاقاته واستعداداته فهو إذن مهدد باقترابه من العـــدم ، وكـــلا النظريتين تعّولان على المراحل المبكرة من الطفولة باعتبارها الأســـاس لبـــناء الشخصية حيث يفترض دولارد وميللر (من أصحاب النظرية السلوكية) أن الصراع اللاشعوري الذي يتم تعليم الجزء الأكبر منه خلال فترات المهد والطفوله يشكل الأساس لأكثر الإنفعاليات شدة في مراحل الحياة التالية، أمـــا علماء النظريات الوجودية فقالوا بأن تجارب الفرد هي تجارب خصوصية نـــسبية تتعلق بالطريقة التي يدرك بها نفسه والآخرين حوله والعالم المحيط ، فما تدركـــه أنت بطريقتك هو معنىً آخر بالنسبة لشخص آخر ، أما بالنسبة لنظرية التحلـــيل النفـــسي فسنبسط القول فيها قبل الإجابة عن سبب الشعور بالذنب ضمن مفهوم هذه النظرية وأي المراحل العمرية هي الأساس لبناء الشخصية ؟

يمكـــن فهـــم نظرية فرويد ببساطة بالتركيز على ديناميكية الشخصية وتتألف من الأقسام الآتية :

إن الشخصية ككل كما تصورها فرويد تشتمل على ثلاثة جوانب رئيسية هي :

١. الهو (الذات الدنيا) .

٢. الأنا (الأنا السفلى) (الذات) .

٣. الأنا الأعلى (الذات العليا) (الضمير) .

(والهو) : هو طبيعية الإنسان الحيوانية قبل أن يتناولها المجتمع بالتحوير والتهذيب ، وهـــو جانب لا شعوري عميق لذا فهو لا يعرف شيئاً عن الأخلاق والمعايير الاجتماعية ولا يعرف شيئاً عن المنطق أو الزمان أو المكان ، فهو يسير بوحي مبدأ اللذّة ، أي يندفع إلى إشـــباع دوافعه اندفاعاً عاجلاً بكل صورة وبأي ثمن فإن استعصى عليه إرضاؤها في عـــالم الواقـــع أرضاها في عالم الخيال وبعبارة أخرى فالهو (الصورة البدائية للشخصية) ويتكون من الغرائز.

أما (الأنا (الذات)) : فهو جانب من الشخصية يتكون بالتدريج من اتصال الطفل بالعـــالم الخارجي الواقعي عن طريق حواسه ويتكفل الأنا بالدفاع عن الشخصية وتوافقها مـــع البيـــئة وحل الصراع بين الكائن الحي والواقع ، أو بين الحاجات المتعارضة للكائن الحي ، إن للأنا وجهين وجهاً يطل على الدوافع الغريزية في (الهو) وآخر يطل على العالم الخارجـــي عـــن طـــريق الحـــواس ، ووظيفته هي التوفيق بين مطالب (الهو) والظروف الخارجـــية ، والأنا عند الطفل الصغير ضعيفة ولذا وجب على الكبار حمايته حتّى يشتد ، أما الأنا عند الراشد السوي الناضج فيسير على هدى مبدأ الواقع لا مبدأ اللذّة وهو مبدأ يحمـــل الفـــرد على أن يؤجل إشباع دوافعه ورغباته على أن يحتمل ما يترتب على هذا الإرجاء والتنازل من ألم وقتي في سبيل (اللذّة الأصلية) .

أمـــا (الأنـــا الأعلى) فإن تكوينها يبدأ في سن مبكرة ، وتتلخص في أن الطفل من عهـــد مبكر جداً من حياته يكون في صراع دائم بين ما يريد عمله وبين ما يريد والداه ، وســـط هذا الصراع الموصول يرى الطفل نفسه مضطراً إلى أن يكف نفسه عن كثير مما يشتهي أو القيام بأعمال لا يميل إليها بطبعه كي يتجنب استهجان الكبار وعقابهم وتتبلور في نفـــس الطفـــل بالتدريج وعن غير قصد منه أوامر الوالدين ونواهيهما وأفكارهما عن الصواب والخطأ والخير والشر والحق والباطل والعدل والظلم ، وتتبلور على شكل (سلسلة داخلـــية) تقـــوم مقام الوالدين حتّى في غيابهما ، وهكذا تضطره التربية إلى أن يقيم على نفـــسه حارســـاً من نفسه يسمى (الرقيب النفسي) أو (الضمير) أو (الأنا الأعلى) الذي يرشده إلى ما يجب عمله وينهاه عن ما لا يجب عمله ، وبما أن الأنا الأعلى يكتسب في بواكير الطفولة فهو لاشعوري إلى حد كبير ويكون له أثر عميق باق في حياته كلها وعلى الرغم من انه قد يتعرض بعوامل التعديل والتحوير بازدياد ثقافة الفرد وخبراته في المدرسة والمجـــتمع إلاّ أنـــه يظـــل صورة طبق الأصل من تعاليم الوالدين ويظل محتفظاً بخصائصه الأولى .

وبالإمكان أيضاً تقسيم الذات العليا إلى قسمين :

أ. الـــذات المثالـــية : التي تطابق تصورات الفرد لما يعتبره أبواه جيداً وأخلاقياً ، وإن الوالدين يوصلان قيمهما عن العفّة والطهارة والنظافة من خلال التشجيع والتكريم والثواب وليس عن طرق العقاب .

ب. الضمير : يقابل أفكار الطفل حول ما يتصوره أو يعتبره والداه رديئاً خلقياً وهذه الصورة تتكون من خلال التعرض للعقوبات فإذا عوقب الطفل لأنه كان قذراً فإن القذارة تعتبر أمراً رديئاً ، وهنا نلاحظ أن الذات المثالية والضمير جانـــبان متضادان لزاوية خلقية واحدة تستند على مبدأ الثواب في الذات المثالية ومبدأ العقاب في الضمير .

ونجـــيب الآن عن سبب الشعور بالذنب ضمن مفهوم هذه النظرية والذي وصفه فـــرويد بالقلق الأخلاقي أو تأنيب الضمير وفيه يعاني الفرد القلق بسبب الشعور بالإثم أو الخجـــل في (الـــذات) وأنه ينشأ بواسطة الإدراك الحسي للخطر من قبل الضمير ، وأن الـــضمير سلطة داخلية لسلطة الأبوين التي تهدد بالعقاب إذا ما قام الفرد بعمل ما أو فكر بـــشيء مخالف للغايات الأساسية (للذات المثالية) في الشخصية ، أي أن مصدر الخوف الـــذي اشـــتق من القلق الأخلاقي (تأنيب الضمير) هو من الخوف من العقاب التأديبي للأبوين .

أمـــا عن المرحلة العمرية الأساس لبناء الشخصية فتشير نظرية فرويد إلى المراحل المبكـــرة أيضاً ، بل أن هناك إضافات لنظريات أخرى جاءت بعد فرويد ناقشت القلق والخـــوف مثل نظرية أوتورانك الذي أرجع أساس القلق إلى لحظة الولادة حيث يقول إن صدمة الولادة هي المصدر الأساس للقلق في حياة الإنسان نتيجة لفقد المولود حالة الأمن والطمأنينة في رحم أمه.

وتـــضع نظرية التحليل النفسي أساليب أساسية للعلاج النفسي تتركز في عمليات ست هي :

١. التداعي الحر: وهي سلسلة مقابلات بين المعالج والمريض يتم خلالها خلق علاقة ودية بين المعالج والمريض ويشجع المعالج المريض على الاسترخاء على سرير خاص ويجلس المعالج خلفه وبيده أوراق أو جهاز تسجيل يدون أو يسجل كل ما يشعر به المريض في لحظات الجلسة ويسجل إجاباته على بعض الأسئلة وباستمرار اللقاءات تتداعى أفكار وذكريات منسية للمريض يسجلها المعالج باستمرار وبتكرار هذه اللقاءات تبدأ هذه الأفكار والذكريات بالترابط والتجمع وبمقارنة هذه الأفكار والذكريات مع المعلومات المتوفرة عن حياة المريض يقوم المعالج بصياغة أكثر من فرضية للعلاج يطبقها جميعها حتى يصل إلى الفرضية الصادقة التي تنجح في علاج الحالة.

٢. تفسير الأحلام: تابع فرويد دراسته للأحلام وأهميتها بالنسبة للتحليل النفسي باعتبار أن الأحلام تحوي على بعض الدلائل والمفاتيح لمعاني مهمة لمادة اللاشعور في الشخصية ، إذ تتضمن الأحلام المعاني المستمرة والرمزية لأنواع من الدوافع التي تكبت أو تقنع.

٣. التفريغ اللانفعالي: أي إعادة تمثيل الهزّة النفسية للموقف الانفعالي وأداء المريض للانفعالات المصاحبة للهزّة النفسية التي كبتها المريض أصلاً.

٤. التحويل: في نهاية مراحل العلاج يتحول موقف المريض الحيادي نحو المعالج إلى نسخة من الانفعالات الأولى المرضية ، فكراهية المريض لأبيه ولأمه مثلاً أو لأي شخص آخر يتحول إلى المعالج نفسه .

٥. تفسير المقاومة وإعادة البناء: خلال هذه المرحلة يفسر المعالج للمريض سبب انفعالاته الدفاعية المرضية ويحاول أن يساعد المريض على فهم نفسه وفهم انفعالاته المرضية وإعادة بناء ذاته.

٦. الخطوات البنائية: بعد فهم المراجع لنفسه يجب أن يتحول المريض إلى أجواء نفسية واجتماعية أكثر ملائمة كأن ينتظم في دراسة جامعية مثلاً حتى

لا يضطر إلى استعمال الوسائل الدفاعية القديمة أي عملية إعادة تعليم جديدة . (الحياني)

نتوقف هنا لكي نضع بعض الأسئلة نحاول من خلالها إثبات نظرية الكتاب الأول سايكولوجياً.

س١- ماهو الضمير ؟

ج- لو أخذنا بتفاسير النظريات النفسية للضمير لوجدنا أنها تتفق جميعها على أنـه يـتكون في مراحل الطفولة الأولى وانه نتيجة لتربية الوالدين فما يعتبره الأبوان رديـئاً يغـرس في نفس الطفل ويتحول بالتراكم إلى الضمير الرقيب على الأعمال السيئة.

ولكـن نـسأل نحن هل أن جميع الآباء والأمهات على امتداد الأزمان واختلاف الأوطـان والقوميات واللغات والأديان يحملون معايير موحدة لما هو صواب وخطأ ؟ الجـواب بالتأكيد كلا ، فما يعتبره أبوان في الهند مثلاً خير قد يعتبره أبوان في الصين شر وكلا الأبوين يربيان أولادهما على ذلك ولكن لا يختلف اثنان في العالم أن الضمير معاييره ومقاييسه تكاد تكون موحدة لكل البشر عبر الازمان والأماكن ، وغالباً ما يطلق مصطلح على هذا الضمير العالمي وهو مصطلح (الإنسانية) فكيف نوفق إذاً بين تفسير النظريات النفسية للضمير وهذه الحقيقة ؟

س٢-ونسأل أيضاً ما هو مصدر القلق والخوف في حياة الإنسان ؟

ج-يجيب علماء النفس أنّهم كلما أرادوا تحديد مرحلة لبداية الخوف والقلق في حياة الإنسان وجدوا أن هناك مرحلة تسبقها فإن قالوا أن الخوف والقلق يبدأ في عمـر ست سنين وجدوا أن هناك أطفالاً يخافون ويقلقون وأعمارهم أقل من ذلك بكـثير ، فمـا مصدر قلقهم وخوفهم إذاً ، وبدأ علماء النفس يتراجعون في السن لـتحديد بدايـة تكوين القلق والخوف حتى وجدوا أنفسهم أمام حقيقة أن الخوف والقلـق متحقق عند الطفل بعمر يوم واحد ، لذا قالوا بأن صدمة الولادة هي سبب

القلـــق والخوف لدى الإنسان . وإذا ما حكمنا عقولنا في هذا التفسير ألا نعتبر هذا التفسير تكلفاً مبالغاً فيه وهل أن صدمة الولادة لطفل وليد تجعله يحمل مشاعر القلق والخـــوف طيلة حياته ؟ وإن كان كذلك فهل عجزت نظريات التحليل النفسي عن عـــلاج هـــذه الصدمة وهذه النظريات ذاتها نجحت في علاج العديد من الحالات المرضية النفسية المستعصية ؟

س٣- مـــا حكم النظرية التي تفسر الضمير على أنه كل ما يعتبره الأبوان رديئاً في أطفـــال الملاجئ والأيتام أو الأطفال المشرّدين أو الأطفال تحت رعاية أبوين مجرمين هل أن هؤلاء الأطفال سيكونون بلا ضمير ؟

ج-إن الواقع يعكس لنا هذه الصورة تماماً فالعباقرة والرجال الصالحون غالباً ما كانوا من الأيتام قليلي الرعاية في مراحل الطفولة وكثير من العبّاد كانوا أبناء فجرة وفاسقين فإن قالوا بأن المجتمع هذّب هذه الشخصيات نقول بأن المجتمع دائماً يحمل معاني الفضيلة والخير ضمن مصطلح الإنسانية كما ذكرنا فإن كان هو المهذّب فهو مـــن باب الأولى أن يكون المجتمع هو مصدر تكوين الضمير ولا داعي للاعتقاد بأن الأبوين مصدر الضمير . إذاً ما هو مصدر الضمير لدى الإنسان ؟

س٤- مـــا قـــول علمـــاء الـــنفس والتربية في التربية الإسلامية التي تمنع الضرب والقـــصاص للاطفال حتّى سن السابعة ضمن مبدأ العرب في التربية الذي أقرّهُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهذا المبدأ هو (نلاعب سبعاً ونؤدّب سبعاً ونؤاخي سبعاً ثم نترك الحبل على الغارب) ؟

ج- إن التـــربية الإسلامية تتناقض تماماً مع التربية الغربية التي تراجعت الآن وأخذت عن التربية الإسلامية ، فلا عقوبة أو زجر عنيف أو تهديد للطفل حتى سن الـــسابعة بعـــدها يتم التأديب إلى سن الرابعة عشر بعدها يتم معاملة الشاب معاملة الـــرجال ومعاملـــة الأخوة لا الأبناء حتى تمام سن الحادي والعشرين وهي مرحلة اكتمال التربية ، إذاً ما يعتبره الأبوان سيئاً يتم التنبيه إليه في المرحلة العمرية بين (٧-

١٤سنة) ويتم التأديب عليه في حين يشير علماء النفس أصحاب نظرية التحليل النفسي إلى أن تكوين الضمير يتم في المراحل العمرية المبكرة فهل أطفال المسلمين يفتقدون إلى الضمير ؟ الجواب بالتأكيد أنهم هم أصحاب الضمير الحي النقي ، فكيف إذاً نعلل تكوين الضمير عندهم ؟

وللإجابة عن جميع هذه الأسئلة نعود فنعرض نظرية الكتاب الأول التي تحاول تقديم الاجابة المنطقية عن هذه الأسئلة ، فالضمير بمنظور هذه النظرية هو القلب ، والقلب يحمل خزين الكتاب الأول فكل عمل ابن آدم محاسب عليه يوم القيامة وكل سيئة تعرض له عند حسابه يجازى عليها لذا فإن أي عمل سوء قام به الإنسان في الكتاب الأول عوقب عليه وخزنت عقوبته معه فهو يحملها معه في الكتاب الثاني الحالي ضمن خزانة القلب ، وقد يسأل سائل هل هناك إنسان لا يحاسب ولا يعاقب ؟ ونجيب كلاّ ، فكل إنسان مؤمن يدخل الجنة برحمة الله لا بعمله ، حتّى الرسُل لا يدخلون الجنة إلاّ برحمة الله ، إذاً قلوب بني آدم جميعاً معلقة بين الخوف والرجاء فالقلق والخوف لا يأتيان من صدمة الولادة بل من خزين الكتاب الأول والضمير لا يأتي من عقوبات الوالدين بل من عقوبة رب العالمين في الكتاب الأول لذا فإن أطفال الملاجئ والأيتام والأطفال المولودون في كنف أسرة طيبة أو غير طيبة يستوون في امتلاكهم للضمير (القلب) لأنه خزين عملهم في الكتاب الأول وكذلك اختلاف طريقة التربية الغربية أو الإسلامية أو اختلاف المجتمعات والأزمان لا يؤثر في مقاييس الضمير لأنها مقاييس رّبانية منقولة من الكتاب الأول إلى الكتاب الثاني مع قلب كل ابن آدم ، لذا لا نستغرب من قيام القاتل الملحد بتسليم نفسه طالباً الاعدام لتخليصه من تأنيب الضمير لأنه في الواقع أَحّس بلظى عقوبته في الكتاب الأول فسعى إلى الخلاص من هذه العقوبة الأخروية بعقوبة دنيوية لأن الله عز وجل لا يعاقب مرّتين فإن عوقب في الدنيا نجى من عقوبة الآخرة.

وكذلك نستطيع أن نجيب عن الأسئلة الأولى الموضوعة عن الأحلام الصادقة المتحققة فما هي إلاّ تسرّب لبعض خزين الكتاب الأول في المنام لنجدهُ يتحقق تماماً في

الواقع ، وبنفس النظرية نستطيع أن نفسّر ظاهرة التخاطر ، وظاهرة القلق المسبق للوالدين علـــى أحد أولادهم قبل تعرضه للخطر وظاهرة الرؤية المسبقة للأحداث أو الأشخاص وظاهرة انفصام الشخصية على أنها تجليات معرفية من خزين الكتاب الأول (القلب) إلى أحداث الكتاب الثاني المعاصر .

أمـــا الأشخاص الذين يوصفون بأنهم معدومي الضمير فهم من الذين طبع الله على قلوبهم وهم من الذين ران الله على قلوبهم وهم اليائسون من رحمة الله فلا تجليات تكون لـــديهم لأن خزانة قلوبهم مقفلة بأمر ربّاني وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وهم الذين ما عبدوا الله طرفة عين.

ج - إثبات الفرضية عقائديا

إن إثبات فرضية الكتاب الأول عقائدياً تقودنا إلى موضوع القضاء والقدر وإذا ما أردنا أن نقدم لموضوع القضاء والقدر وهل أن الإنسان مخير أم مسير فإن الكتابة عنه قد تتطلب مجلدات لكثرة ما كتب في هذا الجانب من علم العقائد ولكننا نقدم خلاصة للمذاهب في القضاء والقدر حسبما صنفها الباحثان (عليان والدوري ،١٩٨٦) .

قسم العلماء الأفعال البشرية إلى قسمين:

أ-الأفعال الاضطرارية: وهي التي لا قدرة للإنسان ولا اختيار له فيها كحركة ارتعاش اليد أو حركة الجهاز العصبي والهضمي ، وقد اتفقت الفرق الإسلامية جميعها على أنها مخلوقة لله وليس للعبد دخل فيها فلا تكليف فيها ولا ثواب ولا عقاب بها .

ب- الأفعال الاختيارية : وهي التي للإنسان فيها قدرة واختيار كالسير والكلام وهذه هي محل الخلاف بين علماء الفرق الذين ذهبوا فيها مذاهب شتى .

١-مذهب الجبرية: اتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان الراسبي (٠٠٠-١٢٨هـ) وهؤلاء نفوا القدرة والاختيار والارادة عن الإنسان وقالوا بأن الإنسان مجبر في جميع أفعاله وأن الله تعالى خلق في الإنسان أفعاله بنوعيها الاضطرارية والاختيارية التي يخيل إلى بعضهم أنها اختيارية .

ورد عليهم بأن الله نفى الظلم عن نفسه وأنه لا يحاسب إلا على الذي اكتسبه العبد ، وإن قولهم هذا يؤدي إلى أنه لا فائدة لإرسال الرسل ولا فائدة من ترتيب الثواب والعقاب لأنه لا تكليف بالأوامر والنواهي .

٢-مذهب القدرية الخالصة: اتباع معبد الجهني (٠٠٠-٧٢هـ) وغيلان الدمشقي الذين أنكروا علم الله الأزلي ، فالله عندهم لا يعلم أفعال الفرد إلا بعد وقوعها وأنه لا قدر والأمر أنف وهذه الطائفة في ضلال بينّ لأن الله عالم بما كان وبما سيكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة .

٣-مذهب المعتزلة: وهم يجمعون على أمور .

أ- أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم الاختيارية وليس لله تعالى صنع ولا تقدير فيها لا بايجاد ولا نفي .

ب- أن الله عالم أزلاً بأفعال خلقه ، فلم يزل عالماً بمن سيؤمن وبمن سيكفر ، وهذا يميزهم عن القدرية الذين أنكروا علم الله الأزلي .

جـ- الإنسان فاعل مختار .

د- أمر الله تعالى وارادته متلازمتان .

وردّ عليهم بأن أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لله بدليل قوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) .

٤- مذهب الأشاعرة: اتباع أبي الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٣٠هـ) ويرون أن أفعال الفرد الاختيارية مخلوقة لله تعالى وليس للعبد تأثير في إيجادها وإن الله تعالى يخلق فيه قدرة على إصدار ذلك الفعل للعبد (أي أن الإنسان إذا أراد أن يفعل فعلاً من الأفعال فإن الله تعالى يخلق له في هذه اللحظة نفسها قدرة على هذا الفعل ، وهذه القدرة هي التي تكتسبه ولكنها لا تخلقه واتفق رأي الماتريدية اتباع الإمام محمد بن أبي منصور الماتريدي (٠٠٠-٢٦٨هـ) مع رأي الاشاعرة ، ورأيهم توسط بين الجبرية والمعتزلة .

٥-مذهب الإمامية: وينص على أن أفعالنا من جهة هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية وهي تحت قدرتنا واختيارنا ومن جهة أخرى هي مقدورة لله تعالى وداخلة في سلطانه لأنه هو مفيض الوجود ومعطياته ، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل ولم يفوض الينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه بل له الخلق والحكم والأمر وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد وهذا معنى ما روي عن الأئمة : لاجبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين (الدوري وعليان).

ثم جاء العصر الحديث وحمل معه فرق عديدة من العلماء منهم من آثر عدم الخوض في مسألة الجبر والاختيار والقضاء والقدر ومنهم من خاض في هذه المسألة ثم انتهى إلى أن القدر والجبر والاختيار من الأسرار التي قد لا يستطيع الإنسان الكشف عنها إلى يوم القيامة ، ومنهم من قال بأن الإنسان مختار في الظاهر ومجبور في الباطن ، ومنهم من بقي إلى الآن يبحث عن دليل يوصله إلى اليقين ، ومنهم من حاول استغلال هذه المسألة في الدس والطعن والتشكيك في الدين (البوطي) .

وكان على رأس الطائفة الأخيرة المستشرقين الذين حاولوا وضع أسئلة عديدة كان قصدها الأساسي التعجيز لا الاستفهام والتعلم فكانت اسئلتهم سهاماً نافذة في عقول شباب المسلمين حتى أني سُئلت عن بعض من هذه الأسئلة فعلاً ، لكني عندما تناولت مسألة القضاء والقدر والجبر والاختيار فإني لم أتناولها وفق منهج الدراسات العقائدية البحتة ولكني حاولت مجتهداً بعد الاتكال على الله قياس فرضية الكتاب الأول وتطبيقها على هذه المسألة ، فإن أعطت هذه الفرضية اجابة منطقية متقدمة نوعاً على الأسئلة المطروحة فهي محاولة اجتهادية فردية تقع ضمن باب الثقافة الإسلامية حصراً أي لا تقع ضمن مبادئ ومسلمات الدين الإسلامي ، وهي لا تخرج عن كونها نظرة جديدة لهذه المسألة قابلة للنقاش والقبول أو الرفض ونسأل الله أن يتقبل منا صالح عملنا ويغفر لنا زلاتنا فهو أعلم بسرائرنا ، ونعرض الآن الأسئلة :

س١: سألت شاباً يوماً : لماذا لا تصلي ؟ أجابني بدون تردد : هل أن الله كتب علي قبل ولادتي الشقاوة أو السعادة ؟ قلت نعم بنص الحديث النبوي الشريف ، فقال فلم أصلي إذن إذا كنت من أهل الشقاوة ؟ قلت : وما يدريك أنك من أهل الشقاوة فقد تكون من أهل السعادة ، قال : فلماذا أصلي إن كنت من أهل السعادة فربما قبل وفاتي بساعة أتوضأ وأصلي ويغفر لي الله ذنوبي جميعها لأنه كتبني من أهل السعادة ، ففي كلتا الحالتين لا أصلي لأني في المحصلة العامة مسيرٌ لا مخيرٌ .

س٢ : سـئلت أيضاً من قبل أحد الشباب قال : نحن وبفضل الله ولدنا في بــلاد المسلمين ومن أبوين مسلمين ومنا المهتدي ومنا الضال ، فما حكم الله في أبـناء أصـحاب الديانات غير السماوية وأبناء الملاحدة الذين ولدوا في بلاد لا تعترف بالديانة أصلاً أو على ديانة أخرى وكيف يعذبهم الله على ذنوبهم وكفرهم كما يعذب الضال منا ، وكيف نطلب من ابن المشرك أو الملحد أن يهتدي بنفسه إلى الله وإلى دين الإسلام وهو محاط ببيئة لا تعترف بالدين أو بيئة على ديانة أخرى إن خرج منها ربما قتل ولا أحد من المسلمين يدافع عنه ؟

س٣: سـألني شـاب أيضاً أليس في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (جَفَّ القلم بِما أنت لاقٍ) تأكيد على أن أعمالنا مكتوبة وكل العوارض التي تعتري حياتنا مكتوبة أيـضاً قلت : بلى ، فقال : فما فائدة الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل وما فائدة الـرقية ، وما فائدة الاستسقاء مثلاً ، وما فضل الرسل على البشر إن كان الله عزّ وجل اصطفاهم من بين البشر وجعلهم رسلاً وكتب سيرتهم وهداهم ووجههم في جمـيع أعمالهم ، وإن سألوا الله أعطاهم وهم بكل الأحوال وقبل ولادتهم مكتوبة أعمالهم من قبل الله عز وجل ؟

س٤: سـئلت أيضاً لماذا نقتص من القاتل والسارق والزاني والله عز وجل خلق أعمالهم وكتب عليهم قبل ولادتهم أنهم سيقتلون ويسرقون ويزنون وإن هذا هـو قدرهم ؟ بل لِمَ خلقهم الله أصلاً ليرتكبوا هذه المعاصي أو ليحاربوا دين الله مثل فرعون وهامان وأبو جهل ؟

س٥: سـئلت أيضاً : ما أدنى عذاب في جهنم ؟ قلت : أن يوقف الرجل على جمرتين تحت قدميه يغلي منهما مخه . قال : أو قَد يكون عذابه في صغيرة ؟ قلـت : نعم ، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما وقف على قبر وأخـبر بـأن صاحبه يعذب في صغيرة لأنه كان لا يستتر من بوله قال : كل هذا

العــذاب لــذنب صغير ، ألا ترى أن العذاب فوق قدر الذنب بكثير والله أعدل العادلين فكيف يكون عقابه أشد بكثير من إثم العبد ؟

س٦: ســئلت أيضاً : هل في القرآن الكريم ناسخ ومنسوخ ؟ قلت : نعم بإجماع علماء المسلمين . قال : أليس الله بقادر على أن ينزل الأحكام على هيئتها الختامية دون النسخ فالمفروض (استغفر الله) أن تكون أحكام الله منهجية ومبدئية ثابتة غير قابلة للتغيير .

س٧: ســئلت أيضاً : كيف توفق بين قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ففي الآية الأولى الإيمان والكفر بمشيئة العبد وفي الآية الثانية الهداية والضلال بمشيئة الله ورغم ذلك يسأل الله عباده عما كانوا يعملون ؟

إذا مــا أردنا مناقشة هذه الأسئلة من حيث منظور فرضية الكتاب الأول للقضاء والقدر فعلينا أن نحدد الثوابت الآتية :

تعريف القضاء والقدر:

قــال الخطــابي ، وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله ســبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه ، وليس الأمر كما يتوهمون وإنمّا معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكساب العبد وصدورها عن تقدير منه (النووي على صحيح مسلم) .

وذكر ابن حجر الهيثمي في شرحه على حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الايمــان تعريف القضاء فقال : والقضاء علم الله أولاً بالأشياء على ما هي عليه والقدر إيجاده إياها على ما يطابق العلم (البوطي).

إذن نلخــص هذه التعاريف بأن القضاء والقدر علم الله الأزلي بما سيكون والعلم صــفة لا تستلزم الإجبار فإن كنت مدرساً لمادة معينة ولديك في الفصل تلميذ غير ملتزم

بالدوام وضعيف التحضير وسُئلت عنه تجيب بأني اعلم أن هذا التلميذ سوف لا ينجح في الامــتحان النهائــي ، فإن فشل في الامتحان النهائي فهل ستلام ويقال لك أنك سبب رســوب هــذا التلميذ لانك قلت إنك تعلم أنه سيرسب؟ الجواب بكل تأكيد كلا لأن علمــك المــسبق برسوبه لا يعني حكمك أنت عليه بالرسوب بل حكم هو على نفسه بالرسوب لعدم مواضبته .

ونحن متفقون تماماً مع التعاريف ونؤكد عليها ونؤكد أيضاً على أن العلم المسبق بالفعــل لا يعني الإجبار على أحداثه ، وقد سُئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عَمن يرتكب الموبقات ويقولون كان ذلك في علم الله ، فغضب وقال : كان ذلك في علمه ولم يكن علمه يحملهم عليها.

ولكنا نقع ضمن سلسلة من الاستفسارات نسعى للإجابة عنها .

س١ : أفعال الإنسان من يخلقها ؟

ج-الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ هنا قال المعتزلة إن أفعال الإنسان مخلوقة من قبل الإنسان نفسه وليس من قبل الله عز وجل لأن الله عادل لا يخلق أفعالاً للعبد توصله جهنم ويحاسبه عليها ، وقال الماتريدية والأشعرية إن الله عــز وجــل خلق أفعال الإنسان وأن خلقه للفعل تعني خلق مواده وعناصره الخارجــية الــتي يتكون منها (مثل اعضاء الجسم كاليد والادوات كالورق والقلم والسيف) أما ولادة الفعل فتتم من خلال قصد الإنسان والعزم على أداء هذا الفعل ، فالثواب والعقاب يكون على القصد لا على الفعل الخارجي ذاته والمكون من حركة الاعضاء والقوى التي تحركها والأدوات المستخدمة (البوطي) .

س٢: ونسأل ، والقصد والعزم على أداء الفعل أليس من خلق الله ؟

ج-ويجــيب الشيخ العلاّمة البوطي ، إن ملكة القصد التي تتمتع بها إنما هي نعمــة خلقها الله فيك ومتعك بها أما ممارستها بالتوجه بها إلى جزئيات الأمور فمن كسبك المنسوب إليك (البوطي).

س٣: نطور سؤالنا من القصد والعزم إلى المشيئة والإرادة فهل أن هناك فرق بين المشيئة وبين الإرادة ؟ وهل الإرادة تستلزم الرضا ؟ وكيف توفق بين مشيئة الله ومشيئة العبد ؟

ج-يجيب عليان والدوري (١٩٨٦) بأن الإرادة صفة أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من وجود أو عدم ، مقدار وزمان وجهة وضدها الإكراه ، ويعبر البعض أحياناً عن الإرادة بالمشيئة ، والإرادة في الأزل متعلقة بتخصيص الحوادث بأوقاتها وبالصفات التي يعلم أنه يوجد عليها في الخارج فالله تعالى أراد أزلاً أن تكون موجوداً وأن يبعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً .

والإرادة لا تستلزم الرضا ، فقد ذكر شارح العقيدة الطحاوية : (أن الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ولا يرضاه ولا يحبه فيشاؤه كوناً ولا يرضاه ديناً) وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة وزعموا أن الله شاء الايمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر ، وزعمهم هذا لئلا يقولوا (شاء الكفر من الكافر وعذّبه عليه) ولكنهم صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شرٌ منه ، فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى .

روى عمرو بن الهيثم قال : خرجنا في سفينة وصحبنا فيها قدري ومجوسي ، فقال القدري للمجوسي : أسلم ، قال المجوسي : حتى يريد الله ، فقال القدري : إن الله يريد ولكن الشيطان لا يريد ، قال المجوسي : أراد الله وأراد الشيطان فكان ما أراد الشيطان هذا شيطان قوي ، فأنا مع أقواهما .

ومنشأ الضلال كان من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا (عليان والدوري).

نتوقف هنا لنضع سؤالاً .

س٤: كيف نوفق بين مشيئة الله ومشيئة العبد اذن ؟

ج-يجيب الشيخ البوطي عن هذا السؤال فيقول مشيئة الله هي أن تكون متمتعاً أنت بمشيئتك فكل ما شئته هو من مشيئة الله لأن مشيئة الله أرادتك أن تكون مختاراً لأفعالك . والدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر :٣٨) .

﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف :٢٩)

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الدهر: ٣)

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠) .

﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٥) .

(البوطي) .

هذه الإجابة هي أقصى مدى اطلعت عليه في علم العقائد يعالج هذا السؤال ، لكن السؤال يبقى قائماً .

س٥: إذا كانت مشيئة الله تعالى أن يجعلني مختاراً لأفعالي فكل أفعالي التي سأختارها ستكون بالمحصلة من مشيئة الله فكيف سنوفق بين الآيات اعلاه التي تبين بأن العبد مختار لأفعاله وبين الآيات والأحاديث الآتية التي تعطي معنى الجبر ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة :٢٢) .

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ (الرعد: ٢٧)

﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٣٩)

﴿وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٣) .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء﴾ (فاطر: ٨).

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣) .

﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (يونس: ٩٩-١٠٠)

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥١) .

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات:٩٦)

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: ٦) .

وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعطي معنى الجبر : روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حدثنا الصادق المصدوق (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً) إلى أن قال فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتّى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتّى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) .

والحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال :(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به ، فرفع رأسه فقال : ما منكم من نفس إلاّ وقد عُلِمَ منزلها من الجنة والنار ، قالوا : يارسول الله فَلِمَ نعمل؟ أفلا نتكّل ؟ قال: لا ، أعملوا فكل ميسرّ لما خُلق له ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ .

والأحاديث التي رواها البخاري:

(عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : وَكَّلَ الله بالرّحم ملكاً فيقول أي ربِّ نُطفةٌ ، أي ربِّ علقةٌ ، أي ربِّ مضغَةٌ ، فإذا أراد الله أن

يقـــضي خلقهـــا قال : أي ربٍّ ذكرٌ أم أنثى ، أشقيٌّ أم سعيد فما الزرق ، فما الأجل ، فيكتب كذلك في بطن أمه) (فتح الباري) .

(قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم :جَفَّ القَلَمُ بما أنت لاقٍ).

(عن عمران بن حُصين قال : قال رجل : يا رسول الله أيُعرَفُ أهلُ الجنة من أهل الـــنار؟ قال : نعم ، قال : فَلِمَ يعمل العاملون؟ قال : كُلٌّ يَعمل لما خُلقَ لهُ أو لما يُيسر له)(فتح الباري) .

ونـــسأل الآن عَلِمَ كلّ إنسان أن مآله أما إلى الجنة وإما إلى النار فحق للسائل أن يـــسأل : لِمَ أصُلُ إذن ؟ وحَقَّ للقاتل أن يقول ما ذنبي إن كان الله قد كتب عليّ في بطن أُمـــي أن أقتل فلان؟ فإن أجيب علينا أن هذا المصير موقوف على عمل العبد لأن للعبد مـــصيران متناقضان أعدهما الله له ، أحدهما مصير السعادة والنعيم والآخر مصير الشقاء والـــنكال فيكون الموقفان معدين له سلفاً وعمله يوجهّه إلى أحد المصيرين ؟ أجبنا بأن هذين المصيرين لم تذكر الأحاديث النبوية الشريفة أنهما يكتبان على العبد في بطن أمه بل شقي أم سعيد ، أما حديث ابدال منزلة جهنم بمنزلة الجنة الذي سنذكره لاحقاً فهو لنا لا عليـــنا، كمـــا أن القول بالمصيرين المتناقضين للعبد ينسف أصلاً مسألة الإيمان بالقضاء والقدر ، فلا معنى إذن لأن يكون الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان لأنه لا شيء مكتوب على العبد لاجتماع النقيضين في المصير عليه إمّا مصير إلى الجنة وإمّا مصير إلى النار ولا ثالث لهما .

فبالنتـــيجة يكـــون لا كتابة أصلاً على العبد وبذلك نكون قد خرجنا عن الإيمان بالاقـــدار المسبقة على الإنسان ، أي أن مثالنا عن القضاء والقدر بأنه تشخيص (تمثيل) لمؤلـــف أدبي ضخم معد سابقاً يحصل فيه أحياناً خروج عن النص ، يختل هنا ، فالقول بالمـــصيرين المتناقضين يعني أنه لا يوجد مؤلف قديم معد أصلاً يجري تشخيصه (تمثيله) بل أن ما يجري هو حوارات ومواقف ذاتية ذات اختيار آني من الممثلين لا تخضع لنص

ومجهولة الخاتمة ، وكل ما يقوله الممثلون في العرض يقف خلفهم المؤلف ليقول أنا راضٍ عما تقولون ولأني راضٍ عمّا تقولون فكل ما تقدمونه من تأليفي ، أيستقيم هذا القول ؟

والقول بالمصيرين المتناقضين يدفعنا إلى تساؤلات أخرى هي : إن كان لكل عبد مصيران متناقضان مكتوبان فما الحكمة إذن من أن يخبرنا الله عزّ وجل في محكم كتابه بأن الهداية بيده سبحانه وتعالى ، كما هو في آيات الإجبار السابق عرضها ؟

وما معنى أن يكتب على العبد في بطن أمه أنه من أهل الشقاء أو من أهل السعادة كما هو مؤكد في الحديث النبوي الشريف فالقول بالمصيرين المتناقضين يعني أن يكتب على العبد في بطن أمه إن عملت خيراً فأنت من أهل السعادة وإن عملت شراً فأنت من أهل الشقاء وهذه العبارة لجميع الخلائق وبلا خصوصية لأحد فبالنتيجة تكون من باب تحصيل الحاصل وهو في علم المنطق لا يؤخذ به ويصبح لا داعي لكتابة هذه العبارة أصلاً .

وما الحكمة من تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان بالقدر خيره وشره ، وما الحكمة أن يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة أن الاقدار سبقت وثبتت (جفّ القلم بِما أنت لاقٍ) .

وما الحكمة في أن ينبئنا القرآن الكريم بأحداث الساعة كخروج يأجوج ومأجوج ودابة الأرض ، إن كانت كل الأقدار تخضع لمصيرين متناقضين فكيف يحكم القرآن الكريم بقدر واحد ، فلو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر فتنة المسيح الدجال وكيف يفتن كل الخلق به إلا أهل مكة والمدينة فإن كان القول بالمصيرين المتناقضين فيجوز أن لا يفتتن أحد به ، وما الحكمة في أن ينزل الله حكمه في أبي لهب في حياته ، وهو من الإعجاز المستقبلي للقرآن الكريم ، فلو أسلم أبو لهب بعد نزول سورة اللهب (نظراً لأن له مصيرين متناقضين حسب رأي القائلين بذلك) فكيف سيكون حكم السورة ، وقد يسأل سائل آخر وما ذنب أبي لهب إن كان الله حكم عليه في حياته أن لا يؤمن وأن مصيره إلى النار ؟

ونلخص أسئلتنا بسؤال واحد : إذا كانت الأقدار بمصيرين متناقضين والعبد يختار أحد هذين المصيرين فالإنسان إذن مخير لا مسير ، فما الداعي وما الحكمة إذن من جميع الآيات والأحاديث التي تنص على المصير الواحد وهي آيات وأحاديث الجبر ، وإن كان الإنسان مجبراً في كل أفعاله فما الداعي وما الحكمة إذن من جميع الآيات والأحاديث التي تنص على مبدأ التخيير وإن جزاء الإنسان مرهون بما قدمت يداه .

إن تساؤلاتنا هذه مرجعها ايماننا المطلق بل وايمان كل المسلمين أن لكل كلمة بل لكل حرف في القرآن الكريم حكمة ومعنى يدل عليه فلا يمكن رفعه أو إبداله فلا حروف زائدة في القرآن الكريم ونظم القرآن الكريم من دلائل إعجازه ، إذن الحكمة موجودة في كل آيات الجبر والتخيير وهذا ما سنحاول مجتهدين تدبره في فرضية الكتاب الأول .

نخرج من هذه الأسئلة والاستفسارات باعادة رأي فرضية الكتاب الأول ولكن هنا في مسألة القضاء والقدر وضمن اجتهادنا فنقول :

إن الفرضية تفترض أن الحياة التي يعيشها أي إنسان حالياً على كوكب الأرض قد سبق له أن عاشها مسبقاً بروحه وجسده على نفس هذه الأرض وأن حياته الأولى كان مخيراً فيها في جميع أعماله الاختيارية سواء كانت تلك الأعمال في مجال الخير أو في مجال الشر وأن أعماله هذه حددت نهايته إلى الجنة أو إلى النار بعد حساب عادل من رب السماوات والأرض ، ولقد أوقف الله عز وجل جميع خلقه أمامه وقفة حساب فاعترفوا بذنوبهم وأعطوا مواثيقهم إلى الله عز وجل إن عدنا إلى الأرض في اختبار آخر فسنعمل صالحاً ترضاه ، ولرحمة الله عز وجل بعباده ومحبته لخلقه أعاد أو قلب الزمان إلى نقطة البداية ولكن لكي يكون الاختبار عادلاً حجب عن ذاكرة بني آدم أفعالهم في حياتهم الأولى وابقى لهم بصيصاً من الذاكرة هي الفطرة وأعاد بث الخلائق على الأرض بنفس تسلسل الحياة الأولى في الكتاب الأول فأصبحت الحياة الأولى في باب الغيب للبشر لا يتذكرها إلا من ارتضى الله عز وجل من خلقه من الرسل والصالحين فيطلعهم على بعض

أنـباء الكتاب الأول فيأتي الرسل والصالحون بأنباء مستقبلية بالنسبة لنا في حياتنا الحالية وهي قديمة في علم الله الأزلي .

وقـبل أن نثـبت فرضيتنا هذه نجيب عن الأسئلة المتقدمة : نجيب من امتنع عن الـصلاة بحجـة أن مصيره مكتوب في بطن أمه إما في النار وإما في الجنة ، فنقول إن ما كتب عليك في بطن أمك هو عملك الاختياري في حياتك الأولى فلم يظلمك الله ولكن ملائكـته كتـبت سيرتك الذاتية منذ ولادتك إلى وفاتك ، سيرتك التي اخترتها بنفسك وقادك اختيارك إما إلى الجنة وإما إلى النار فإن كنت من أهل الجنة فاثبت على ما قدمت يداك في حياتك الأولى وادم صلاتك والله يهديك لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً وإن كـنت من أهل النار ففي حياتك الثانية فرصة لك لكي تتوب وتغير مصيرك في حياتك الأولى لأن الله عـز وجل يمحو ما يشاء ويثبت وتوبتك قد تنقلك من أهل النار إلى أهل الجنّة .

ونجـيب مـن سأل كيف يعذب الله أبناء أصحاب الديانات غير السماوية وأبناء الملاحـدة على كفرهم كما يعذب الضال منّا وهم قد ولدوا في بلاد لا تعرف الإسلام فـنقول إن جميع البشر في حياتهم الأولى قد وقفوا أمام ربهم وأقرّوا بالربوبية له واعترفوا بذنـوبهم وأعطوا عهودهم أنهم إن منحوا فرصة أخرى سيعملون صالحاً وفي هذا يستوي ابـن المـؤمن وابن الكافر فكلهم يحمل ذكرى العهد وهي الفطرة فعلى ذلك يستوي حساب المؤمن الذي ولد في بلاد المسلمين مع الكافر الذي ولد في بلاد الملحدين .

ولقد سبقت حجة الله على خلقه لهذا السؤال في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِـن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣).

ونجيب من سأل عن فائدة الدعاء وفضل الرسل إن كانت كل الأعمال مكتوبة قبل الولادة فنقول : إن الدعاء يغير القضاء إن كان صادقاً ومستوفياً لشروط الدعاء فما كُتب عليك قد يتغير بدعوة صادقة بل إن الاعمار نفسها قد تطول بصلة الرحم والمرض يدفع

بالصدقة فأعمال البرّ هذه تغير ما كُتب عليك من نتاج حياتك الأولى ، أما فضل الرّسل رغـــم أن أعمالهم مكتوبة قبل ولادتهم ، فإن فضلهم متأتي من سيرتهم في حياتهم الأولى وهي سيرة اختيارية الأفعال ، واعيدت هذه السيرة مكتوبة في حياتهم الثانية لذا فإن جميع الرســـل يعلمون أن أفضل الرسل هو محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يتمنون أن يكونوا من أمته وما من رسول إلاّ وبشرّ برسول يأتي من بعده اسمه أحمد صلى الله عليه وسلم . ونجـــيب مـــن سأل لماذا نقتص من القاتل والسارق والزاني والله عز وجل خلق أعمالهم وكتب عليهم قبل ولادتهم أنهم سيقتلون ويسرقون ويزنون فنقول : إن ما كُتب عليهم في بطون أمهاتهم ليس إلاّ أفعالهم الاختيارية في الحياة الأولى فإن قال القاتل لماذا يحاسبني الله وقد كتب علي أن أقتل ؟ نقول له كذبت فأنت قتلت في الأولى باختيارك الذاتي وما كتب علـيك في بطـــن أمك في حياتنا الثانية هذه ليس اجباراً لك لكي تقتل ولكن إخباراً بما قدمت يداك في الأولى ، فإن التزمت باب الله هديت إلى الخير وحول الله سيرتك من قاتل إلى عبد صالح .

ونجيب من سأل لماذا كان عذاب الله أشد من إثم العبد فنقول : إن عصاك ولدك في ذنب صغير وأردت عقابه فاعتذر إليك وعاهدك أن لا يعود إلى هذا الذنب فسامحته ثم عـــاد بعـــد ذلـــك إلى هذا الذنب الصغير مرة ثانية فكيف سيكون عقابك له ؟ بالتأكيد سيكون عقاباً ثلاثياً يشمل عقوبة الذنب الأول ونكث الوعد بعدم اتيان هذا الذنب مرة أخـــرى وعقوبة الذنب للمرة الثانية وستكون عادلاً في عقوبتك الثلاثية هذه ، ولله المثل الأعلى .

ونجـــيب مـــن سأل عن الناسخ والمنسوخ ولماذا لم تكن الاحكام الإلهية منهجية ثابـــتة دون نـــسخ ؟ فنقول النسخ للشيء يعني أن هنالك أصل قديم نسخ بأصل جديد وحكمـــة النـــسخ هي أن يبين الله لعباده بدليل قرآني أن الدعاء يغير القضاء وأن الله عز وجل يختار لعباده الأصلح لمعيشتهم وعلى قدر أعمالهم وتقربهم اليه فالله عزّ وجل يمحو

مـــا يشاء من السيرة الأولى ويغيرها ويثبت ما يشاء منها وهو العليم الخبير بالأصل الأول لهذه السيرة.

ونجـــيب من سأل عن التوفيق بين الآيتين الكريمتين ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ ، ﴿وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنقول: إن الله تعـــالى عـــالم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة وعنده علم الكتاب الأول والـــثاني والقـــرآن الكريم حوى أخبار وعلوم الأولين والآخرين لأنه من لدن عليم خبير فآيات التخيير مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ هي لما خيرنا به في حياتنا الأولى فكل أعمالنا كانت بخياراتنا ، أما آيات الجبر والالزام مثل قوله تعالى: ﴿وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فهي لحياتنا الثانية لذا فهي في قمة العدالة والرحمة فالله لا يضلّ إلا من كان ضالاً كافراً في حياته الأولى فهو عادل في حكمه على من كفر ولكن رحمة الله سبقت غضبه ، وكرمه زاد على عدله فإن شـــاء الله أن يهدي كافراً مثبتاً كفره في سيرته الأولى هداه وهو من باب الفضل والرحمة وإن لم يشأ هداية هذا الكافر وشاء أن يضله فهو من باب العدل لأن كفره هذا من نتاج ما قدمت يداه في حياته الأولى ونكمل الآية المباركه ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فلا تناقض بين مطلع الآية في أن الهداية والضلال مشيئة ربانية وآخر الآية التي تنص على أن الله عز وجل سيسألنا ويحاسبنا على أعمالنا .

وقد يسأل سائل هل أن آيات الجبر والالزام كانت في قرآن الكتاب الأول ؟ فنقول إن الله عز وجل عالم بما كان وبما يكون وما هو كائن من الأزل إلى الأزل وعلمه وحكمه في خلقه ورسالات هدايته مخزونة في كتاب لا يطلع عليه أحد من خلقه لا نبي ولا ملك مقرب وهو (أم الكتاب) فالقرآن الكريم في أم الكتاب واحد وهو للحياة الأولى والثانية ، أما الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم وما يطلع عليه الرسل والملائكة المقربون من عالم الغيب بإذن الله فهو من اللوح المحفوظ .

والأقدار في اللوح المحفوظ معلقة على طاعة العباد ودعائهم وعلى تقدير الله لمصالح العباد ، وتغيير قضائه فيهم على قدر طاعاتهم وتوبتهم ودعائهم ، فمن اللوح المحفوظ كان الناسخ والمنسوخ لا من أم الكتاب .

وبإجابتنا عن هذا السؤال نكون قد أجبنا ضمناً عن الاستفسارات التي وضعناها عن أفعال العباد من يخلقها ؟ وما الفرق بين مشيئة الله ومشيئة العبد والتوفيق بينهما وكيف أوقعت هذه المسألة المعتزلة والقدرية في محظور تقديم مشيئة العبد على مشيئة الله ، ودفعت هذه المسألة إلى القول بأن مشيئة الله هي أن يجعلك مختاراً لأفعالك بمشيئتك ، ونسأل بدورنا هل يقنعنا التفسير حول المشيئة في فهم الآية الآتية: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاء اللَّهُ﴾ فإذا كانت مشيئة الله عز وجل هي أن يجعلني متمتعاً بمشيئتي فما الحكمة من وجود هذه الآية ؟ ! أما بالنسبة لرأي فرضية الكتاب الأول لهذه الآية الكريمة فهي أنها متعلقة بحياتنا الحالية فالكافر المكتوبة عليه سيرته في حياته الأولى وهو في بطن أمه في حياته الثانية ان شاء الله عذبه بعدله وإن شاء هداه برحمته فمشيئة كافر الحياة الأولى في حياتنا الحالية موقوفة على مشيئة الله ومشيئة الله لم تجبره ولم تظلمه وإنما هي معلقة بين العدل والرحمة وباجابتنا عن هذا السؤال نكون قد أجبنا أيضاً عن استفسارنا عن الحكمة من وجود آيات التخيير إن كان الإنسان مجبراً على أفعاله والحكمة من وجود آيات الجبر إن كان الإنسان مخيراً في أفعاله ؟ فآيات التخيير كانت لحياتنا الأولى وآيات الجبر كانت إخباراً لنا في حياتنا الثانية عن سيرتنا في حياتنا الأولى مع منحنا فرصة تغيير هذه السيرة بالتوبة والدعاء وصلة الرحم والصدقات وأعمال الخير .

قبل انتقالنا إلى إثبات الفرضية عقائدياً وإجابة عن سؤال قد يطرح : إن فرضية الكتاب الأول لم يقل بها أحد من قبل ؟ نجيب : سنثبت إن شاء الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكد في أكثر من حديث شريف إلى أعمال بني آدم التامة المحفوظة المقدرة سابقاً وحديث شريف آخر رواه البخاري لم استدل على شرح له لصعوبة فهم نصه وهو الفيصل إن شاء الله في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نبهنا إلى الحياة

الأولى والثانية ولكن تنبيهه صلوات الله عليه وسلامه كان مستغلق الفهم ورحم الله الإمام الشعراوي إذ يقول : إن القرآن الكريم تحدى العرب وغير العرب في وقت نزوله ولكننا قلنا إن القرآن ليس له زمان وليس له مكان وأنه سيظل حتى قيام الساعة فكيف يمكن أن يتحدى الأجيال القادمة ؟ لابد أن يكون للقرآن معجزة دائمة ، أن يعطي عطاء لكل جيل لم يعطــه للأجيال السابقة ، وقد كان ، جاء في القرآن أشياء لو أن أحداً أخبر بها وقت نــزولها لاتّهــم بالجنون ولكنها جاءت للعصور القادمة جاءت لتتحدى عبر الأجيال إلى يومنا وإلى الأيام القادمة (معجزة القرآن) ويقول رحمه الله : ولذلك قلت إن ابن مسعود رضــوان الله عليه يقول : ثوروا القرآن . ما معنى ثوروه ؟ أي هيجوا أساليبه لكي تبان لكم الأشياء ، كما تثور الأرض لتخرج كنوزها ويقول الإمام الشعراوي رحمه الله : حين يشاء الله لسر في كونه أن يظهر إما أن يهيء له العقول التي تجعل المقدمات وتصل إليه ، وامّــا يكونــوا هم في واد وبعد ذلك يثبت الله لهم سراً لم يكونوا بصدده في وقت هذه العملــية ، يبقــى أن الله حين يأذن لشيء أن يكشف إمّا يمهد لذلك بأن العقل البشري يأخــذ مقدمات فيصل إلى نتيجة أو أنه يجعله يبحث في شيء ويظهر له سراً من أسرار الكون وإذا نظرت إلى كثير من المخترعات نجدها أغلبها صدف ولذلك يجب أن نفرق بين علم الأشياء التي كانت مجهولة ثم علمتها ، هي كانت غيباً في وقت ما ولكنها ستصير مشهداً ومعلوماً في وقت آخر ، هذا ليس هو الغيب لأن الغيب المطلق هو الذي ليس له مقــدمات تصل إليه أبداً ولذلك هناك في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ لاَ إِله إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِــنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِــعَ كُرْسِــيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ إنمّا نسب الإحاطة لمن ؟ للبشر .

﴿وَلاَ يُحِيطُونَ﴾ خلقه ﴿بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ هم يحيطون إذا شاء فمرة يشاء أن يوفقوا في المقدمة فتأتي بنتيجة ومرة يكونوا غير موفقين فيعطيها صدفة فقد شاء (المختار من تفسير القرآن) .

يرتكز إثباتنا لهذه الفرضية عقائدياً إلى:

أولاً-القرآن الكريم .

ثانياً-الأحاديث النبوية الشريفة .

ثالثاً-آراء الصحابة والتابعين والأولياء .

أولا-إثبات الفرضية استناداً إلى القرآن الكريم.

في سعينا واجتهادنا لإثبات فرضية الكتاب الأول نعرض الادلة الآتية .

الدليل الأول :

١- قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢) .

ولتفسير هذه الآية آراء الأول يقترب نسبياً من فرضية الكتاب الأول وهو للإمام الطبري قال : أي واذكر يا محمد (صلى الله عليه وسلم) إذ استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض بذلك . والإمام الطبري رحمه الله أقــرّ بأن الأخذ من الله عز وجل كان من بني آدم ، وليس من آدم كما يذكر الرأي الثاني لتفسير هذه الآية ، أما الرأي الثالث فهو للزمخشري بأن هذه الآية من باب التمثيل (صــفوة التفاسير) ولكن كل الاراء تناولت عالماً خاصاً أسمته عالم الذّر ولم تتناول حياة أولى وحياة ثانية :

نناقش هذه الآراء ونثبت الآتي :

١- إن الآيــة الكريمة لم تنص على استخراج بل نصت على الأخذ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ).

٢- إن الآية الكريمة لم تشر إلى الأخذ من آدم عليه السلام ولكن من بني آدم كما أشار لذلك الإمام الطبري رحمه الله .

٣-قاعدة أصولية إذا استقام المعنى على الحقيقة فهو مقدم على الأخذ بالتمثيل أو المجاز الذي أشار إليه الرأي الثالث لتفسير هذه الآية .

٤-مـاذا نقصد بعالم الذر ؟ اغلب الآراء اشارت إلى أرواح بني آدم قبل خلق اجـسادها وبـثها على الأرض ، ولكن هذه الآراء تتقاطع مع نص الآية الكريمة في الأشـهاد ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ أي لم يشهدهم الله عز وجل على أرواحهم بل علـى أنفـسهم . وما هي النفس ؟ اليست النفس روحاً ؟ كلا ان النفس هي مزيج الـروح والجـسد . وما هو دليلنا على ذلك ؟ قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ويفسر لنا هذه الآية الإمام الشعراوي رحمه الله إذ يقول : إذن قبل أن تلتصق الروح بالمادة لا يقال للروح نفس ، والمادة وحدها لا يقال لها نفس إذن فالنفس هي المـزيج المكـون من وجود المادة والروح فإذا أراد الله أن يتوفى الأنفس يحل هذا التركيب (المختار من تفسير القرآن العظيم ،الشعراوي) .

إذن تـستدل مـن هذه الآية الكريمة على وجه اليقين أن الأشهاد من قبل الله عز وجـل للبشر هو إشهاد للروح والجسد وهو بمنطق الفرضية يوم الحساب الأول للخلق الأول ويـوم الأشـهاد من الله عز وجل لجميع خلقه بأنه الخالق ، ويوم الاقرار من قبل الخلائـق لله عـز وجل بالربوبية ، ثم كانت الفرصة الممنوحة من الله عز وجل بأن تتم الـدورة الثانية للخلائق على هذه الأرض والفرصة الممنوحة هي اختبار ثانٍ للبشر ومن شروط أي اختبار أو امتحان ان لا يعلم الممتحن الأسئلة الموضوعة لذا محى الله عن ذاكرة بني آدم سيرتهم السابقة وأبقى لهم ذكرى العهد في قلوبهم ولكن الله أعلم بخلقه لذا قال تعـالى: ﴿شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فإن يسأل سائل فكيف

يحاسب الله الخلائق وقد محى عن ذاكرتهم سيرتهم الأولى ؟ نقول إن الله عز وجل أبقى ذكرى العهد في قلوب جميع البشر وهو ما نطلق عليه الآن بالضمير وما يطلق عليه الشارع الكريم بإيمان الفطرة وهو حجة الله الأولى على بني آدم والحجة الثانية هي الرسل المذكرين للبشر بعهد الله ، ومن أقرب التفاسير لهذا المعنى هو تفسير تنوير الأذهان للبروسوي وإن كان التفسير يتناول عالم الذر والإخراج من صلب آدم إلاَّ أنه أجاب عن نفس التساؤل يقول الشيخ البروسوي فإن قيل كيف يكون الميثاق حجة على الكفار منهم وهم لا يذكرون ذلك حين أخرجهم من صلب آدم ؟ قيل : لما أرسل الله الرسل فأخبروهم بذلك الميثاق صار قول الرسل حجة عليهم وإن لم يذكروا (تنوير الأذهان).

فإن سئلنا وما دليلك على أن مهمة الرسل هي التذكير قلنا إن دليلنا مستمد من كتاب الله تعالى قال تعالى يأمر رسوله الكريم: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق: ٤٥) .

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ (الطور: ٢٩) .

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (الأعلى: ٩) .

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢١).

فإن سئلنا فكيف ذكّر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالحياة الأولى ؟ قلنا: من خلال جميع أحاديث القضاء والقدر وحديث الاستدارة الذي سنذكره في باب إثبات الفرضية استناداً إلى الحديث النبوي الشريف .

ولم تقع مهمة التذكير على الرسل فقط بل أن الله تعالى تولى تذكير الخلائق بوسائل عديدة هي:

أ-الأمثال (الآيات):

قال تعالى: ﴿ويُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يتذكرون﴾ (البقرة: ٢٢١) .

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٢٧) .

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٥)

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٣)

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان: ٦٢)

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦).

﴿هَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٦)

ب-الترهيب والتضييق :

قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنفال: ٥٧)

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠).

جـ-الكتب السماوية:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا﴾ (الإسراء: ٤١)

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا﴾ (الفرقان: ٥٠)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٤٣).

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٤٦).

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٥١).

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: ٥٨).

وأمـــا التذكرة الشاملة لكل سيرة العبد فهي بعد وفاته ولكن أي فائدة ترجى من هـــذه التذكرة إن كان عمل الإنسان قاده إلى جهنم قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق:٢٢) .

﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ (النازعات: ٣٤-٣٦).

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (الفجر: ٢٣).

وقـــد يسأل سائل من هم الذين سيتذكرون عهدهم مع الله ؟ نقول هم أصحاب القلـــوب وبمـــصطلح علماء النفس هم أصحاب الضمائر ،والله عز وجل يحدد لنا سبل التذكـــرة بثلاثة سبل الأول الاستدلال العقلي والثاني الإنابة إلى الله والثالث خشية الله ، والاستدلال العقلي يتمثل بأُولي الألباب .

قـــال تعالى ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

﴿وَالرَّاسِـــخُونَ فِـــي الْعِلْـــمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧).

﴿هَـــذَا بَـــلاَغٌ لِّلـــنَّاسِ وَلِيُـــنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِله وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (إبراهيم: ٥٢).

﴿أَفَمَـــن يَعْلَـــمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (الرعد: ١٩).

﴿قُـــلْ هَـــلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩)

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (ص : ٢٩) .

أما الإنابة إلى الله فتتمثل في قوله تعالى :

﴿هُـــوَ الَّـــذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلا مَن يُنِيبُ﴾ (غافر: ١٣)

والخـــشية مـــن الله عـــز وجل تقود أيضاً إلى التذكرة قال تعالى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ (الأعلى: ١٠)

مـــن خـــلال هـــذا التقديم نستطيع أن نفهم سر الآية الكريمة التي نزلت في حق فـــرعون ، ففـــرعون من الموعودين بالعذاب ولكن الله عز وجل نصح رسوليه موسى وهـــارون بأن يخاطبوا فرعون بالقول اللين ، لماذا ؟ نقرأ قوله تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّـــهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤) ونتساءل يتذكر ماذا ؟ ونجيب مجتهدين : يتذكر ما قـــدمت يداه في الأولى ويتذكر مصيره ، فإن لم يتذكر بذاته فلعلهُ يخشى ، فالخشية أيضاً طريق موصل إلى التذكرة ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ والله أعلم ، فإن سئلنا ما الدليل على أن فرعون قد ذُكّرَ بسيرته الأولى ولم يتعظ ؟ نجتهد في الإجابة عن هذا السؤال بالانتقال إلى ســـورة طه وتسجيل المحادثة العجيبة بين سيدنا موسى عليه السلام وفرعون ، ويستوقفنا سؤال فرعون الذي كان خارج سياق الحديث وكأن فرعون حشره حشراً لاحراج سيدنا موسى عليه السلام بعلم يختص به فرعون دون سواه ونتابع المحادثة العجيبة في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ (طه :٤٩-٥٢) إن هذه المحادثه توحي لنا بأن فرعون قد ذُكّرَ بالسيرة الأولى وأنه سأل عنها نبي الله موسى عليه السلام ، ونؤكد اجتهادنا في سورة أخرى هي النازعات فطالما ذكّر فرعون بـــسيرته الأولى ولم يتعظ ولم يخش كان من أظلم الناس ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّـــرَ بِآيَـــاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ ، لذا فمن العدالة أن يعذبه الله جزاء سيرته في حياته الأولى وحـــياته الثانـــية الأخـــيرة ، قـــال تعالى ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ (النازعات).

ومــن خــلال هذه الفرضية أيضاً نعرض السؤال القديم : ما أعظم ذنب يرتكبه العــبد ؟ كان يجاب عن هذا السؤال بأن أعظم ذنب هو أن تجتهد في حفظ بعض آيات القرآن الكريم ثم تنساها بعد ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ (الكهف: ٥٧)

ولكن هل العقوبة من جنس الذنب ؟ الجواب بكل تأكيد كلا لأن الله رفع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم الخطأ والنسيان إذن ماذا تقصد الآية الكريمة ؟

نــتابع تكملــة الآيــة الكريمة لنستدل منها مجتهدين على أن أظلم الناس هو من تكشفت أمامه بعض أحداث سيرته الأولى وأدرك مواطن التقصير فيها رغم ذلك عاد إلى ارتكــاب المــوبقات فمن أظلم من هذا لنفسه ولنقرأ قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف: ٥٧).

والذين ذُكّروا بأعمالهم السالفة إذا ما وقفوا بين يدي الله ماذا سيقولون ، سيقولون نــسينا يا رب رغم تذكرتك لنا العهد الذي أخذته علينا ونسينا لقاءك في هذا اليوم قال تعالى ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَــذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (الأعراف: ٥١) وهنا يبدأ الجدل بين بني آدم وخالقهم فيطلبون إعادة الدورة عليهم مرة ثانية لكي يعملوا عملاً صالحاً غير الذي كانوا يعملــونه ، قــال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِــنُونَ * هَــلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُــلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٢-٥٣).

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٧)

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (فاطر: ٣٧).

فرد الله عز وجل على طالبي الخروج من جهنم والعودة مرة ثانية ارتبط مع ثلاثة منح ربانية ، الأولى التعمير في الأرض بطول الاعمار فالفرصة للتوبة طويلة مع طول العمر والثانية التذكرة الربانية للعهد مع الله عز وجل: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ والثالثة إرسال الرسول المذكرّ المنذر ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٢-١٤) تستوقفنا هذه الآيات المباركات طويلاً فهي باجتهادنا دعم لفرضية الكتاب الأول فبعد الموت ينجلي الغطاء عن السيرة الأولى فيطلب المجرمون العودة مرة ثانية إلى الأرض لأنهم أيقنوا بعد المشاهدة ، وتأتي تكملة الآية الكريمة المباركة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هذه الآية المباركة التي استوقفت بعض علماء العقائد لكونها آية جبر لم تترك للإنسان اختيار في عمله أو هدايته نفسرها مجتهدين أن الله لا يظلم الناس ولكن الناس كانوا لأنفسهم يظلمون فلو شاء الله عز وجل لأوقد في ذاكرة كل بني آدم سيرتهم الأولى ومصائرهم ولتسارعوا إثر ذلك إلى الطاعات ولكن الله عز وجل إن شاء أخذ الناس بعدله فيحكم على العبد بما قدمت يداه وبالفرصة الممنوحة له في التغيير والتي لم يستغلها ، وإن شاء أخذ الناس برحمته فذكرّهم بسيرتهم الأولى ليهتدوا فهو العادل وهو الرحيم يضلّ من يشاء بعدله ويهدي من يشاء برحمته ، ونكمل الآية المباركة: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾

الدلالة هنا واضحة على أن سبب العذاب نسيان العهد المقطوع من بني آدم بأنهم إن عـــادوا فسيغيرون سيرتهم حتى يلقون الله محافظين على عهدهم ولكنهم عادوا ونسوا لقـــاء يومهم الموعود مع الله فأذاقهم الله عذاب الخلد بماذا ؟ ليس بمقاديرهم التي كتبت علـــيهم في بطون أمهاتهم ولكن بعملهم السالف الذي لم يغيروه رغم الفرصة الممنوحة لهم ، قال تعالى ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

أي بعملكـــم وليس باجباري القضائي عليكم ، وهنا يحق للسائل أن يسأل ومن يثـــبت أنَّ طلـــب العودة من قِبَل الخلائق هو بعد الحساب للحياة الثانية ، أي أن الآيات المباركات السابقات لا تشير إلى حياة أولى وثانية بل إلى طلب العودة بعد معرفة المصير فنقول ؟

١. إن نـــسيان يـــوم اللقاء في الآيات المباركات دليل على لقاء سابق وعهد ســـابق ، وإلا فمـــا معنى النسيان ؟ فالنسيان دليل على أن هناك أمراً قد تم وخزنت أحداثـــه في الذاكرة ثم تناساه الإنسان ، وبدون هذا الفهم لمفردة النسيان تفقد اللغة معناها ، فلا معنى وضعي لفعل نسيان حدث لم يحدث أصلاً لا على الحقيقة ولا على المجاز ، وما الحكمة من ذكر النسيان في الآيات البينات إن لم تكن مقصوده على وجه الحقيقة !

٢. إن القـــرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً فما كان عاماً في أية يخصص في أية أخـــرى ، وما كان مبهماً في آية يستوضح في آية أخرى ، عليه فإن القول الفصل في أن طلب بني آدم من ربهم أن يخرجهم من جهنم بعد حساب الحياة الثانية لا الأولى مـــتأتي مـــن الآيـــة التالية المباركة التي خصصت العام ووضحت المبهم في الآيات الـــسابقات ، حيث تصرح الآية المباركة بأن هناك حياتان ومماتان لبني آدم وطلب الإخراج من جهنم يكون بعد اطلاع بني آدم على ما قدمت يداهم في الأولى والعهد المقطـــوع إن أخرجهم الله وأعادهم ، ثم سيرتهم في الحياة الثانية التي غالباً ما تكون مماثلة لسيرتهم الأولى إلا من رحم ربك وبعد الاطلاع تأتي ساعة الاعتراف بالذنب

ثم الطمع مرة ثالثة بالإخراج قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (المؤمن: ١١).

وثبت أيضاً تأكيداً قرآنياً آخر للحياتين والمماتين في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة :٢٨)

٣. وفي القرآن الكريم آيات بينات أخر تنبهنا وتذكرنا بالعهد القديم مع الله عز وجل في سيرتنا الأولى وتتجلى هذه التذكرة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٦٠) وفي قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ (الروم :٣٠). فالفطرة باجتهادنا هي عهد الناس لله عزّ وجل في سيرتهم الأولى بإخلاص العبادة له وحده ، وهذا العهد جبل الإنسان عليه فهو مسجل على العبد وهو في بطن أمه حتى ولادته ، ولكن بعد الولادة تتحكم التربية والبيئة في الثبات على العهد أو أن أبوي الطفل يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه ، ويتطابق قولنا هذا مع قول غالبية المفسرين حيث يشير الصابوني في صفوة التفاسير إلى أن تفسير قوله تعالى ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي هذا الدين الحق الذي أمرناك بالاستقامة عليه هو خلقة الله التي خلق الناس عليها وهو فطرة التوحيد كما في الحديث : كل مولود يولد على الفطرة..... .

الدليل الثاني: القلب

قد يسأل سائل إن كان الإنسان يحمل خزيناً لسيرته الأولى وحتى إن كان هذا الخزين غير قابل للاسترجاع إلا لومضات ، لكن يحق لنا أن نسال أين هو موضع هذا الخزين وهل من إشارة إليه في القرآن الكريم ؟

أن علماء النفس أطلقوا على ظاهرة التنبؤ بالخطأ والندم عليه مصطلح (الضمير) والقرآن الكريم أطلق مصطلح القلب فما معنى القلب ؟ إن معنى القلب في اللغة نستمده من الفعل قلبَ قلباً ، فمن قلب رداءه أي أعاد طيه ، يقال أعاد طيه ظهراً لقلب ، وفعل

القلب يعني أيضاً العودة إلى نقطة البداية فمن انطلق من مدينة وعاد إليها نقول انقلب إلى مدينته ، ونقول انقلب على عقبيه أي عاد من حيث أتى ، وقال تعالى ﴿وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ (المطففين: ٣١).

إذن الله عـــز وجـــل عندما اختار مصطلح القلب اختاره لحكمة وما علينا إلا أن نتدبر القرآن الكريم لنفهم سر اختيار الله عز وجل لهذا المصطلح ، والتدبر والفهم يكون مـــن معرفة معنى المصطلح في اللغة وهذا ما بيناه ومعرفة معناه في الاصطلاح أي حسب الاســتعمال الذي اتى به المصطلح وهو ما تدبرناه في القرآن الكريم فوجدنا أن القلب في القـــرآن الكـــريم لا يعني تلك العضلة النابضة ولا يعني الروح بل هو أشبه بشقيق خفي للإنسان يمتلك جميع حواس ومشاعر الإنسان ناهيك عن امتلاكه لخزين السيرة الأولى فهو اشبه بإنسان عاش حياة كاملة ثم فقد ذاكرته بشكل شبه كامل في آخر حياته ، ثم استدار الـــزمان بهذا الإنسان دورة كاملة أي انقلاب كامل إلى الماضي ليجد نفسه متصلاً بطفل مولـــود حديـــثاً هذا الطفل هو نفس هذا الإنسان في بداية حياته ، فماذا سينتج عن هذا الاتـــصال ؟ ســـينتج إنسان مولود وهو مهدي إلى سيرته المقبلة فكل مولود يولد على الفطـــرة ، وسينتج إنسان مولود مكتوب عليه وهو في بطن أمه سيرته الكاملة وشقي أم سعيد وسينتج إنسان يتمتع بقدرة التنبؤ بالمستقبل من خلال بعض الومضات التي يعطيها إلـــيه القلب ، ويمتلك الشعور بالندم إن عمل عملاً كانت عاقبته النار لتنبيه القلب له ، ولكن هذه المنح مرتبطة مع تقرب هذا الإنسان (الجديد) إلى الله عز وجل فكلما تقرب إلى الله عـــزّ وجـــل كلما مكنه الله من اتصال أوثق بقلبه وكلما كشف الله عزّ وجل عن خزين (القلب) لينقل إلى (نفس) الإنسان (الجديد) وكلما ابتعد عن الله عز وجل حجب قلـــبه عنه وأضله ، أي طبع الله على قلبه فقطع وسيلة الاتصال بينه وبين قلبه ، إذن لهذا الإنـــسان الجديد وسيلتان للهداية الأولى أن يستخدم سمعه ونظره وعقله يتدبر آيات الله فيهـــتدي والثانـــية التقـــرب إلى الله فيفتح الله عليه باب الاتصال بالقلب الخبير الخازن لمعلـــومات سيرته الأولى فيهتدي ولكن إن لم يستخدم الوسيلة الأولى فإنه لن يصل إلى

الوسيلة الثانية (القلب) بل سيتصل بتلبسات الشياطين وإيهاماتهم ، والله وحده هو الذي يجمع بين النفس والقلب أو يفرق بينهما ، قال تعالى : ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وأنه إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

إذن لدينا نفس ناشئة من اتصال الروح بالجسد ولدينا قلب متصل بالنفس والقلب غالبـاً ما يكون مصدر الهداية للنفس ولكن المنزلة العليا هي للإنسان الذي أيقنت نفسه واطمأنت وآمنت وسمت في إيمانها حتى على القلب لأن القلب كما ذكرنا خزين للسيرة لكنه غير متاح إلا لومضات تذكيرية فقط ، كما أن هناك قلوب مؤمنين وقلوب مجرمين بحـسب سيرتهم الأولى ، إذن هذه المنزلة العليا أي سمو النفس على القلب تكون للأنبياء خاصة ثم للمحسنين ، فأبو الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام استدل على الله بعقله وحواسه فآمن بالله عزّ وجل قبل أن يبعث الله إليه جبريل عليه السلام يكلفه بالرسالة أي أنه عليه السلام سلك الوسيلة الأولى في تدبر آيات الله الكونية في النجوم والقمر والشمس واهـتدى بنفسه لا بقلبه إلى الله عزّ وجل لذا كانت نفسه أسمى من قلبه ، وهذه الوسيلة التمسها نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يتعبد في غار حراء قبل البعثة وبـذلك نستطيع أن نفهم معنى قوله تعالى في المحادثة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام والله عـز وجل فإبراهيم عليه السلام طلب من الله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى فكان الاسـتفهام التعليمي لنا من الله عز وجل (فالله أعلم بمراد نبيه) فسأله ألم تؤمن ؟ أي الم تـؤمن نفسك من قبل بالاستدلال العقلي ، قال : بلى آمنت نفسي ولكن طلبي ليطمئن قلبي لا نفسي ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي...﴾ (البقرة: ٢٦٠) .

لذا عندما نزلت هذه الآية المباركة توهم البعض أن نبي الله إبراهيم عليه السلام قد شـك في قدرة الله عز وجل فغضب لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن مسلك إبراهيم عليه السلام في الهداية إلى الله بالاستدلال العقلي هو نفس مسلك نبينا محمد صلى الله علـيه وسـلم وهو اعلم بمراد إبراهيم عليه السلام من سؤاله فقال صلوات الله عليه

وسلامه (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (رواه البخاري)، وشرحه ابن حجر العسقلاني قال معنى قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم أي لاشك عندنا جميعاً (فتح الباري) ونوضح هذا الشرح أيضاً بقولنا أي أن المراد إن كان نبي الله إبراهيم قد شك في قدرة الله فمن باب الأولى أن يشك رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القدرة وهو من باب التعنيف لمن قال هذا القول لأن نبي الله إبراهيم عليه السلام أول من سلك وسيلة الاهتداء إلى الله بالاستدلال العقلي وهو نفس مسلك نبينا صلى الله عليه وسلم .

وإذا ما أردنا إثبات هذا الفرض نرجع إلى جميع الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة (قلب) لنجد أن القلب يتمتع بجميع حواس ومشاعر الإنسان (النفس) باستثناء تناول الطعام والشراب .

فنجد أن هناك قلباً سليماً وقلباً مريضاً

﴿إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء :٨٩) .

﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (الاحزاب:٣٢)

والقلب يطمئن ﴿قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة:٢٦)

والقلب يأثم ﴿وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة:٢٨٣)

والقلب ينيب ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ (ق:٣٣)

والقلب يهتدي بهدي الله ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن : ١١)

والقلب يقسى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ..﴾ (البقرة : ٧٤)

والقلب يزيغ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ...﴾ (آل عمران: ٧)

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ..﴾ (آل عمران :٨)

والقلوب تتآلف ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ...﴾ (آل عمران :١٠٣)

والقلــوب تــرتعب ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ ...﴾ (آل عمران: ١٥١)

والقلوب توجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ..﴾ (الأنفال : ٢)

وتثبت ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ (الأنفال : ١١)

وتغفل ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ..﴾ (الكهف :٢٨)

وتلهو ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ..﴾ (الأنبياء :٣)

وتخشع ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد : ١٦)

أما الحواس فالقلب يرى ويسمع ويعقل ويفقه والله عز وجل إذا ما أراد لعبد الهداية وصــل نفس العبد بقلبه وإذا أراد لعبد الضلال حال بينه وبين قلبه أو طبع على قلبه أي أقفله فإن ازداد العبد بعداً عن الله ختم الله على قلبه فإن ازداد بعداً أيضاً ران الله على قلبه وجعلــه قلباً معزولاً في غلاف يعزله عن النفس فلا يهتدي أبداً والله لا يطبع على قلوب العــباد إلا نتيجة لكفرهم فيحرمهم من استخدام القلب مصدراً إضافيا للهداية ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٠١) ، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء: ١٥٥) .

أي أن الطــبع على القلوب لا يكون حكماً نهائياً من الله عز وجل بالضلال بل إن درب العودة إلى الإيمان مفتوح لذا قال تعالى : ﴿فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ .

أمــا إذا ختم الله على القلوب فالختم كضرب الشمع الأحمر على الأقفال فيكون آنذاك درب العودة للإيمان مغلق تماماً فلا يمكن للعبد ان يعود آنذاك لجادة الحق بذاته بل بمعونة إلهية فقط ، قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَــى سَــمْعِهِ وَقَلْــبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية :٢٣).

أما الذين ران الله على قلوبهم أو غلف قلوبهم باكنة فلن يهتدوا إذاً ابداً قال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف :٥٧). ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين :١٤) فإن هدى الله قوماً بأن ذكَّرهم بسيرتهم الأولى وميثاقهم القديم فأبوا إلا الضلال فأولئك يستحقون حجب القلوب وقساوتها مع اللعن من الله عز وجل ، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ (المائدة :١٣) والطبع على القلب ينشأ عنه فقدان الحواس عن القلب فلا يسمع ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ (الأعراف : ١٠٠) ولا يفقه ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة :٨٧) ولا يعلم ﴿وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة :٩٣) ولا يرى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج :٤٦) وعَرَّف الله هؤلاء المطبوع على حواسهم بأنهم الغافلون: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (النحل :١٠٨) .

ومن خلال تعريفنا للقلب نستطيع أن نفهم السر في تقديم (كل) على (قلب) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر :٣٥) .

أي لم يكن نص الآية : كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار .

هذا جزاء الكافرين فما جزاء المؤمنين ؟ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن :١١) .

فمن هذه الآية المباركة نفهم معنى أن يهدي الله قلوب المؤمنين وهم مؤمنين أصلاً ففيم الهداية ؟ ونجيب من خلال تعريفنا للقلب والتفريق بينه وبين النفس ؟ بأن معنى قوله

تعالى إن الذين آمنت نفوسهم زادهم الله بهدي قلوبهم وكشف بعض التجليات المخزونة فـــيها لتسكن وتستقر وتطمئن ويتآلف إيمانها مع إيمان النفوس وبهذا التفسير نستطيع أن نفهـــم ونجيب عن تساؤل كيف يزداد الإيمان ؟ بقولنا أن إيمان النفوس يزداد بهدي الله للقلـــوب فتطمئن وتسكن ، وهذا التفسير مصداقاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح :٤) .

فالله عز وجل أنزل السكينة في قلوب من ؟ في قلوب المؤمنين أصلاً ، أي المؤمنة نفوسهم ليضيف أو يزيد إيمان قلوبهم إلى إيمان نفوسهم ، والله اعلم .

ونختم حديثنا عن قلب بتدبر الآية الكريمة: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد :٢٤)

بقـــي أن القـــرآن الكريم لم يشر إلى القلب فقط بل أشار إلى الفؤاد والصدر فما العلاقة التي تربط بينهم ؟

مـــن خــــلال استقرائنا لآيات القرآن الكريم التي تشير إلى القلب والفؤاد والصدر نـــستدل بـــأن القلب مستودع في الفؤاد والفؤاد مستودع في الصدر فأية هداية أو شرح للـــصدور هي هداية إجمالية للفؤاد والقلب ، وأية هداية للقلب هي هداية ضمنية للفؤاد والصدر .

قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص :١٠) يفسر لنا هذه الآية الإمام الشعراوي رحمه الله حـــيث يقول : الحيز الذي يشغله القلب هو الفؤاد والقلب وفؤاده في الصدر ، إذن هناك قلـــب وفؤاد وصدر ، ساعة يتحدث الله عن القلب يتحدث بأساليب مختلفة يقول مثلاً ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ أي لا قلب لها (لا قلب فيه) لأنه يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ فالشرح للصدر كله لا للقلب ولا للفؤاد وحدهما (الفتاوى) .

ونؤكد تفسير الإمام الشعراوي في قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (إبراهيم :٤٣).

أي أفـــئدتهم خاوية من القلوب عند هذا الموقف المرعب وقوله تعالى في مستقر القلوب في الصدور: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران: ١٥٤). ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج :٤٦)

الدليل الثالث : دليل الرؤية

إن نظـــرية الكـــتاب الأول تشير إلى أمكانية الاطلاع على أحداث السيرة الأولى للإنـــسان مـــن خلال الرؤية القلبية لتلك الأحداث فهل في القرآن الكريم ما يؤكد هذا الاجـــتهاد ؟ لنقـــرأ قوله تعالى: ﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلا لَوْ تَعْلَمُـــونَ عِلْـــمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر).

ولقد سبق أن ضربنا مثلاً بأن علم اليقين هو كمثل من شاهد دخاناً عن بعد فعلم علم اليقين أن هناك نار فلما توجه صوبها رأى النار بعينيه فذلك عين اليقين فإن شك في أن هذه النار ضياء ليس إلا ومد يده إليها فاكتوى بها تحول عين اليقين إلى حق اليقين بأن هذه نار .

والآيـــة المباركة أعلاه قسم من الله عزّ وجل بأن العبد إذا تقرب إلى الله فتح الله عليه وكشف عن بصيرته وأراه ما لم ير الإنسان العادي فأمكنه من رؤية جهنم في حياته ، وهذه الرؤية رؤية قلبية وهي دليل على أن ما يراه هو لأحداث السيرة الأولى في الكتاب الأول ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أول المطلعين ففي الحديث (..لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، قال : يا رسول الله وما رأيت ؟ قال رأيت الجنة والنار) ، والرؤية هنا ليست مجازية بل رؤية حقيقة ففي تفسير البحر المحيط نجد : زاد التوكيد بقوله (عين اليقين) نفياً لتوهم المجاز في الرؤية الأولى (صفوة التفاسير) وهذه الرؤية الحقيقة كما

هـــي متاحة للرسل الكرام فإنها متاحة لعباد الله الصالحين ، حكي أن علياً رضي الله عنه صـــعد المنبر يوماً وقال : سلوني فإن ما بين الجوانح علم جم ، هذا لعاب رسول الله في فمي ، وكان في المجلس رجل يماني فقال : ادعى هذا الرجل دعوى عريضة لأفضحنه فقام وقال : أسأل قال : سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً فقال : أنت حملتني على ذلك ، هل رأيت ربك يا علي ؟ قال : ما كنت أعبد رباً لم أره ؟ قال : كيف رأيت ؟ قال : لم تره العيون بمـــشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان ، ربي أحد لا شريك له ، أحد لا ثاني له ، فرد لا مثل له ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس فسقط اليماني مغشياً عليه فلما أفاق قال : عاهدت الله أن لا أسال تعنتاً (البروسوي) .

وحديث الحارثة بن سراقة وفيه : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارثة بن سراقة : (كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقا، قال : يا حارثة إن لكل حـــق حقـــيقة فمـــا حقيقة إيمانك ؟ قال : أعرضت نفسي عن الدنيا فأظمأت نهارها وأسهرت ليلها واستوى عندي حجرها وذهبها وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون وإلى أهـــل الـــنار يتضاغون وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبت فالزم)(أسد الغابة) .

فجمـــيع هذه الرؤى هي رؤى قلبية مستمدة من خزين القلب للسيرة الأولى وهي دليلنا على الكتاب الأول ، وتبياناً لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ .

الدليل الرابع : النسخ

قـــال تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَـــىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة :١٢٧) ، ماذا يعني النسخ أو المحو من الذاكرة ؟ يعني أن هناك أصل قديم تم التعديل عليه بالتغيير أو الحذف أو الإضافة والأصل القديم بمنظورنا هو الكـــتاب الأول ، ونجـــد في صـــفوة التفاسير التفسير الآتي للآية ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ أي ما نبدل من حكم آية فنغيره بأخر أو ننسها يا محمد أي نمحها من قلبك

﴿نَـأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ أي نأت بخير لكم منها أيها المؤمنون بما هو أنفع لكم في العاجل أو الآجل ، إما برفع المشقة عنكم أو بزيادة الاجر والثواب لكم (الصابوني) .

الدليل الخامس : المحو والإثبات

قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد)

نستدل من هذه الآية المباركة أن المقادير المثبتة في اللوح المحفوظ (خزين الحياة الأولى) قابلة للإبدال لكن علم الله الأزلي بما هو مثبت وما هو ممحي من اللوح المحفوظ إنما هو مثبت في كتاب آخر لا يطلع عليه حتى المقربون من أنبياء وملائكة ألا وهو (أم الكتاب) إذن ما مقدر في اللوح المحفوظ هو السيرة الشاملة لأحداث الكتاب الأول وما مقدر في (أم الكتاب) هو السيرة الشاملة لأحداث الكتاب الأول والثاني وإلى الازل ، ونجتهد أيضاً في ضرب أمثله قرآنية لبعض المقادير التي كانت بتوقيت أو مسميات في الكتاب الأول غيرت إلى مواقيت جديدة ومسميات جديدة ومن هذه الأمثلة :

أ-بكة ومكة : قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ...﴾ فقد تكون تسمية مكة في الكتاب الأول بكة ثم غير إلى مكة في الكتاب الثاني ، والدليل أن موضع البيت كان محفوراً في ذاكرة الأنبياء وكان البيت موجوداً قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، قال تعالى : ﴿رب إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾ أي أن البيت كان موجوداً وإسماعيل عليه السلام لا يزال رضيعاً ، فلما بلغ قام وسيدنا إبراهيم عليهما السلام برفع القواعد لاعمار البيت .

ب-أحمد ومحمد : قال تعالى ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ نستغرب من أن جميع الرسل الكرام بشروا برسول آخر الزمان وأن اسمه أحمد ، اجتهادنا أن هذه البشارات نتيجة الاطلاع على خزين القلب وهذا الاطلاع مكنهم من معرفة اسم النبي المرسل وهو أحمد وأحمد هو اسم التفضيل للفعل (حَمد) أي معناه الذي له حمد كثير وإذا ما أراد الله عز وجل أن يختص رسوله صلى الله عليه وسلم

بمنزلـــة في الكـــتاب الثاني أعظم من منزلته في الكتاب الأول غير اسمه من (أحمد) أي الذي له حمد كثير إلى (محمد) أي الذي حمده الله حمداً كثيراً وهذا الاسم بالتاكيد منزلته في المعنى أعلى من منزلة (أحمد) ونرجع اجتهادنا هذا إلى الآية المباركة ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾ (الضحى: ٤) أي أن السيرة الثانية خير لك من السيرة الأولى ، هذا تفـــسير الآية بأجتهادنا ، وإلا فلا معنى أن يكون تفسير الآية إن جزاءك في الجنة خير لك من الدنيا فهو أمر بديهي والله أعلم .

أما أفضل تكريم بالمسميات فهو (محمود) والمعنى اللغوي للاسم أن يصبح التحميد صـــفة لازمة للشخص حتى يصبح هو بذاته محموداً وهذا المعنى بالتاكيد أفضل من معنى (محمد) لذا كانت هذه التسمية اسمى من أن تكون تسمية دنيوية بل أخروية لذا كان سعي جمـــيع الأنبـــياء للوصول إليها لكن المصطفى عليه الصلاة والسلام هو الموعود بها ، لذا أوصـــانا بالدعاء بعد كل أذان : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته . والله أعلم .

ج- توقيت إنزال القرآن الكريم.

قـــال تعـــالى : ﴿إِنَّـــا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر :١) وليلة القدر يقيناً وبنص الحديث النبوي الشريف هي في العشر الأواخر من رمضان ، لكن أول نزول القرآن على نبيـــنا محمد صلى الله عليه وسلم بإجماع علماء السيرة والحديث والتاريخ هو في السابع عشر من شهر رمضان ، وهنا ظهر خلاف في التوقيت بين نص الآية الكريمة التي أشارت إلى الإنـــزال في ليلة القدر وبين الإنزال الفعلي في السابع عشر من رمضان وفي ذلك قال المفسرون إن إنزال القرآن الكريم تم جملةً وتفصيلاً من السماء العليا إلى السماء الدنيا في لـــيلة القدر ثم نزل بعد ذلك من السماء الدنيا منجما على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول نزوله في السابع عشر من رمضان .

وضـــمن نظـــرية الكتاب الأول نجتهد بالقول إنه لا خلاف في أن القرآن الكريم محفوظ في السماء العليا جملةً وتفصيلاً لكن قد يكون أول نزوله على نبينا محمد صلى الله

عليه وسلم في ليلة القدر في الكتاب الأول وفي السابع عشر من رمضان في الكتاب الثاني والله أعلم .

الدليل السادس:

قتل سيدنا الخضر عليه السلام للغلام ، قال تعالى ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (الكهف :٧٤) ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (الكهف :٨٠) إن هذه الحادثة تستوقف كل دارسي علم العقائد ، فما ذنب غلام صغير غير مكلف حتى يقتل بحجة أنه قد يرتكب الكبائر عندما يبلغ ، ومن خلال نظرية الكتاب الأول نستطيع ضمن اجتهادنا أن نتبين أن عملية القتل كانت إنقاذاً للغلام قبل أن تكون إنقاذاً لوالديه فسيرة الغلام في الكتاب الأول قادته إلى جهنم وهذا ما كتب عليه وهو في بطن أمه لذا فإن إنهاء سيرته في الكتاب الثاني قبل بلوغه سن التكليف كان رحمةً به أولاً وبوالديه ثانياً .. والله أعلم .

الدليل السابع : قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار :٤-٥)

وردت أحاديث كثيرة عن صيام التطوع في أيام محددة أو الصدقات أو تلاوة سورة معينة من القرآن الكريم أنها تغفر أو تكفر الذنوب المتقدمة أي التي اقترفها العبد والمتأخرة أي التي سيقترفها في المستقبل ولمدد معينة كصيام يوم عرفه ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي حياته غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، لكن تستوقفنا الآية الكريمة في أن النفوس بعد بعثها من القبور تعلم ما قدمت وما أخرت ، ونحن نفهم أننا ننسى الكثير من سيرتنا الذاتية أي ما قدمنا في حياتنا وعند البعث نجد ما قدمنا محضراً ومكتوباً ولكن ما الذي أخرناه بعد الموت !؟ أي في حياتنا نعلم أننا ارتكبنا ذنوباً متقدمة

وسنرتكب ذنوباً متأخرة وبالعمل الصالح يغفر الله لنا ما قدمنا من ذنوب وبعض العمل الصالح يوجب غفران ما تقدم وما تأخر من ذنوبنا في حياتنا ولكن عند الموت يصبح كل عملنا متقدم لأن سيرتنا انتهت بالموت ، فما المقصود بقوله تعالى بأن النفوس تعلم ما قدمت وأخرت بعد البعث من القبور ؟ قيل إن المقصود بالمتأخر من عملنا لما بعد الموت هو الولد الصالح الذي يدعو لوالديه والصدقة الجارية والعلم الذي ينتفع به ، والسنة الحسنة ، لكن جميع هذه الأعمال في واقع الحال هي من الأعمال المتقدمة أي مما قدم الإنسان فالولد الصالح نتاج التربية الصالحة وهي مما تقدم عمله والعلم الذي ينتفع به هو مما تقدم وكذلك السنة الحسنة للوالي أو الفقيه . هي من عمله المتقدم في حياته وإن استمر العمل بها بعد مماته لكن أصل العمل قد تقدم في حياة الإنسان وهو على علم به لأنه أنجزه في حياته ويدخل ضمن قوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ أما المقصود بالعمل المتأخر ﴿ما أخرت﴾ فضمن اجتهادنا في فرضية الكتاب الأول قد يكون المقصود بالعمل المتقدم (ما قدمت) عمل السيرة الأولى (الكتاب الأول) والعمل المتأخر (ما أخرت) عمل السيرة الثانية (حياتنا الحالية) أي تعلم كل نفس ما عملت في سيرتها الأولى (ما قدمت) والعهد الذي قطعته مع الله عز وجل ان منحت فرصة ثانية واختبار ثانٍ أن تتوب وتكفّر عن ذنوبها ، وتعلم كل نفس ما أخرت أي عملها في سيرتها الثانية المتأخرة ... والله أعلم .

الدليل الثامن : نظرية الخلق المتكامل

سبق لنا التطرق في كتابنا السابق (الهندسة الوراثية والاستنساخ البشري في القرآن الكريم) إلى نظرية جديدة هي نظرية الخلق المتكامل وهذه النظرية مستمدة من آية قرآنية واحدة متجلية في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه : ٥٠) ، تعني النظرية أن الله عزّ وجل بين لكل مخلوق على الأرض رزقه وطريقة معيشته وأجله وبين له كيف يواجه اعداءه ومنافسيه بل بين كل الاحتمالات التي نتوقع أن تواجه

هذا الكائن في بيئته التي حددها له ومنحه جميع وسائل الدفاع عن نفسه وأن هذه الوسائل لـــن يستخدمها هذا الكائن إلا إذا تعرض للضغط الخارجي ، أي أن الله عز وجل أعطى جميع الكائنات جينات (غير شغالة) وهداها إلى استخدام وتشغيل هذه الجينات لمواجهة ما تتعرض له من شد خارجي (تنافس أو افتراس أو بيئة) وإن هذا العطاء ممنوح من قبل الله عـــز وجـــل للمخلوقات منذ بدء خلقها وستبقى محتفظة به حتى قيام الساعة أو قيام ساعتها (انقراضها) ، لذا فإن تغير أي كائن من حالة الضعف إلى المقاومة لا يعد تطوراً نتـــيجة حصول تغير وراثي فجائي (طفرة) وإنما هو تفاضل رباني نتيجة استخدام سلاح موجـــود أصـــلاً عند الكائن (جينات غير شغالة) لكنه لا يستخدمها إلا عند الضرورة ، لـــذلك فإن ما يحدث من ظهور مفاجئ للمركبات الثانوية يعد طبيعياً لأن الله عزّ وجل هـــدى الكـــائن لتكوينها وبتركيز مقدر بمقدار رباني لا تتجاوزه فهي تبدأ أولاً طارده ثم تتحول بعد إلحاح الصياد إلى قاتلة له .

إذن التطور والوراثة القرآنية تقول إن الخلق في البدء كان زوجين اثنين لكل مخلوق وهما صنفان لنوع واحد والصنفان متباينان في الصفات المظهرية والنوعية والهدى والعطاء الرباني لقرارهما في الأرض هو لمجموع تركيبهما الوراثي أي قد يكون هدي الله عزّ وجل في مقاومة المرض (أ) في الصنف الأول لا الثاني في حين مقاومة المرض (ب) في الصنف الـــثاني لا الأول ، لكن بمجموع التركيب الوراثي للصنفين يكون مقاوماً للمرضين (أ+ب) وهـــذا هـــو ســـبب التفاضل الرباني (التغاير) ، وأن انتشار هذين الصنفين وما ينتج عن تزاوجهما من أجيال في بيئة جديدة يؤدي إلى اندراس الأصناف غير المتحملة لظرف تلك البيـــئة وبقاء الاصناف المتحملة والمقاومة وهذا من باب الاختيار الرباني (الانتخاب) أما عن الطفرة فالطفرة الربانية (مجازاً) ليست أمراً نادر الحدوث بل طبيعي الحدوث جداً فهي عـــبارة عـــن بحثك عن إجابة لسؤال إجابته موجودة في صفحة من صفحات موسوعة ضخمة فإذا ما سألت عالماً بهذه الموسوعة فإنه سيرشدك فوراً إلى الصفحة المطلوبة لتجد الاجابة الصحيحة لسؤالك أما الطفرة الصناعية فهي عبارة عن اختيارك العشوائي لصفحة

مـــا من صفحات هذه الموسوعة لعلها تكون الصفحة التي تجد فيه إجابة لسؤالك لذلك فهـــي نادراً ما تحقق الغرض المطلوب لأنها عبارة عن إجابة صحيحة ولكن لسؤال آخر وليس سؤالك المطلوب .

عـــندما تناولـــنا نظرية الخلق المتكامل في كتابنا السابق كنا نتحدث عن علاقات النـــبات بالحشرات والحيوان وكيف ان كل مخلوق على وجه الأرض يمتلك جينات كاملة يـــستخدمها في الـــوقت المناسب للدفاع عن نفسه وكلما قلت وسائل الدفاع العضوية المتاحة مثل الحركة للنبات وبطء السرعة للزواحف وضعف القوة للحشرات أمام الطيور والحيوانات كلما أزدادت عدد الجينات الكامنة التي أودعها الله عز وجل في مخلوقاته كي تستطيع الديمومة ، وكل احتمالات تعرض الكائنات للخطر أوجد الله تعالى وسائل دفاعية خفـــية تستخدم عند الضرورة القصوى وتظهر هذه الوسائل بشكل مفاجئ لأنها لم تكن ظاهرة سابقاً لدى الكائن فيطلق عليها العلماء الطفرة والكائن الوحيد الذي لم نتطرق له في كتابنا السابق هو الإنسان ، والإنسان لا يخرج عن قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾

ولكن الإنسان يمتلك وسائل دفاعية خارجية (عضوية) أكثر من أي كائن آخر فهو يمتلك قدرة الهرب عند الخطر وقدرة إشعال النيران ويمتلك العقل الذي مكنّه من التفوق على سائر المخلوقات فهو إذن لا يحتاج أن يكّون جسده مركبات ثانوية تطرد الحشرات والحيوانات عنه لأن عقله مكنه من اختراع المبيدات والأسلحة التي يواجه بها أعداءه لذا نفتـــرض أن يكون عدد جيناته محدوداُ نسبياً مقارنة مع باقي الخلائق ونتوقع استناداً إلى فرضية الكتاب الأول أن خريطته الجينية عمرها بعمر الكتاب الأول (ملايين السنين) وانها مستقرة غير قابلة للتبدل إلا في حدود ضيقة (الدعاء والعمل الصالح) لأنها أثر من مخلوقات الماضي لأن لاقدار مثبته (جفّ القلم بما أنت لاقٍ) إن مثل هذا القول المستند إلى كتاب الله والحـــديث النـــبوي لاغير يحتاج لإثباته مختبرياً تقنيات متقدمة جداً في مجال الهندسة الوراثية والخرائط الجينية ولكن الله عز وجل شاء أن يتبارى فريقان غربيان للإثبات العلمي

للــيقين الايمــاني المثبت في القرآن الكريم فلا تستغرب ولكن العلماء أنفسهم استغربوا مما توصلوا إليه ولنقرأ هذا التقرير العملي المنشور في جريدة النيويورك تايمز لعام (٢٠٠١م) .

(أن اللغز الأكبر الذي طرحه أكتشاف الخريطة الجينية (الجينوم) البشرية القلة النسبية لعدد الجينات (المورثات) البشرية مقارنة مع أعدادها في الكائنات الدنيا ، حيث بلغ عدد جيــنات ذبابــة الفاكهــة (١٣٦٠١ جين) وعدد جينات الدودة المستديرة (١٩٠٩٨ جين)) . وفي الأسبوع الماضي أعلن الدكتور كريج فنتر رئيس مشروع سليرا جنزمكس أنهم أحصوا (٢٦٥٨٨ جيناً) بشرياً على سبيل اليقين إلى الآن إضافة إلى (١٢٧٣١ جيناً) محــتملاً ، وعندما اجتهدوا في تقصي عائلات الجينات التي قد تحوي مزيداً من الأعضاء التي تهم شركات الدواء اصيبوا بما يقارب الصدمة ، إذ ليس هناك مزيد .

الجهــة المنافسة لسليرا في هذا المجال تجمع لمراكز البحوث يترأسه الدكتور فرانسز كــولنز حاول مع زملائه احراز السبق بإكتشاف مزيد من الجينات ولم يحالفهم التوفيق ، وكلا الجانبين يقدران عدد الجينات البشرية بين ٣٠ألف و ٤٠ألف جين ، العدد المتواضع للجيــنات البشرية اصاب العلماء في فريقي البحث بالحيرة في تفسير درجة تعقيد الكائن البشري بينما لا تزيد اعداد جيناته الا بنسبة (٥٠%) عن عدد جينات الدودة المستديرة ! شيء آخر غير الغرور يجعلنا تعتقد بأننا أرقى بكثير من الديدان .

وفي يوم ١٢ فبراير (شباط) عقد الجانبان (سليرا والتجمع البحثي) مؤتمراً صحفياً مــشتركاً في واشنطن للاعلان عن نتائج بحوثهما ، وأغرب ما تم الإعلان عنه أن غالبية سلاســل DNA التكــرارية والتي تشكل (٧٥%) من الخريطة الجينية هي في حقيقتها احفــورات عضوية توقفت عن التراكم منذ ملايين السنين ، وإن عدد السلاسل الذي لا زال نــشيطاً مفــتوحاً للتطورات قليل ، فالكائن العضوي في جانبه الأكبر أثر حي من مخلفات الماضي .(انتهى)

إن هــذا الاكتشاف المذهل دفع الباحثين إلى الشك في أن كل اراداتنا مبرمجة جينياً سلفاً ومنذ ملايين السنين ، وهو شك يساير الحقيقة الإيمانية فيما يتعلق بالحديث النبوي

الشريف (جف القلم بما أنت لاق) لكن عقول علماء الغرب لا تحتمل هذه الحقيقة لذا نجد الدكتور فرانز يقول: (الدكتور فرانز كولنز قال أيضاً بأن أحد أخطر النتائج أن يعتقد أناس بأن أرادتهم مبرمجة سلفاً في ال DNA بحيث لا مجال للارادة الحرة ، ذلك سيسقطنا في حتمية جينية تلغي مسؤولية الإنسان وتحد من شرف ابداعاته. لذلك فالخريطة الجينية ينتظر أن تحدث ثورة كبرى ليس فقط في الطب وإنما في علم النفس أيضاً)

الدليل التاسع : أثر القرآن في قلوب الناس.

إن فرضية الكتاب الأول تتضمن أن جميع الخلائق منذ عهد آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة في حياتنا هذه قد عاهدوا الله على الإخلاص والتوحيد وعدم عبادة الشيطان فكل مولود يولد على فطرة الإيمان والتوحيد وكل مولود سمع كلام الله حين خاطبه في سيرته الأولى ﴿ألست بربكم﴾ فأجاب ﴿قالوا بلى﴾ لذا فإن خزين القلوب يحمل هذا العهد ويحمل كلام الله ويحمل القرآن لأنه كلام الله لذا كان وقع القرآن عجيباً في قلوب الكافرين لأنه يذكرهم بالعهد وكأن كل واحد منهم يقول اين سمعت هذا الكلام من قبل فيوشك على الإيمان لذا كانوا يخشون مجرد سماع القرآن فكانوا يجتمعون حول قراء القرآن يصفقون ويصفرون حتى لا يسمعوا ولا يُسمعوا الناس كلام الله ، ولذلك نعت كلام الله بأنه سحر يؤثر لأن الرجل منهم وهو الشديد على المسلمين ما إن يسمع كلام الله حتى ينهار ويشهر إسلامه لأن قلبه يحمل أصلاً القرآن فيكون قلبه شاهداً عليه فيسلم ومن أشهر الأمثلة إسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حال سماعه لبعض آيات القرآن فكان قلبه حياً حاضراً حال سماعه فأستجابت نفسه للإسلام ومن الأمثلة أيضاً أن سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان حين يقرأ القرآن لا يملك عينه من البكاء ، فكان يجتمع الأولاد والنساء يسمعون تلاوته يلتذون به ويهتزون له فحمل ذلك قريشاً على منعه من الصلاة في المسجد الحرام ثم في داره كما روى ذلك البخاري في باب

الهجرة ولقد علم الكافرون سر تأثير القرآن الكريم في النفوس فتواصوا على عدم سماعه ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت :٢٦) رغم ذلك كان وقع القرآن الكريم في قلوب المشركين عظيماً فكانوا رغم تواصيهم على عدم سماع القرآن لا يملكون ارادتهم أمامه ولقد ورد في سيرة ابن هشام أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودا فإن رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا ، إلى آخر الرواية التي اشارت إلى أنهم عاودوا ذلك رغم العهد بينهم ثلاث ليال ، ونسأل ما الذي أخرج جبابرة قريش واشد الناس نفوراً من الإسلام آنذاك لسماع القرآن ؟ إنه ولا شك حديث القلب وتذكرته لهم ففاز من اتعظ منهم وأسلم وبقي من بقي على ضلالته ، وقد يسأل سائل فكيف أسلم من أسلم ولماذا لم يسلم من سمع القرآن ولم يحدث في قلبه شيئاً ؟

نقول إن من أهم وسائل الدعوة إلى الله قراءة القرآن وإسماعه لغير المسلمين ودليلنا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة :٦).

إذن اشترط الله عز وجل لاجارة المشرك اسماعه للقرآن لأن سماعه له طريق هداية له والهداية تأتي من العقل عند المتدبرين ومن القلب لمؤمني الفطرة ، وطريق القلب سماع القرآن لذا نجيب السؤال الثاني فما بال الكثير يسمعون القرآن ولا يؤمنون ؟ نجيب بأن الله تعالى خص من لا يؤمن بالآخرة تعنتاً بأن قطع الله عنه وسيلتي الهداية وهما إيمان الفطرة بالقلوب والايمان نتيجة السماع فتجدهم كالأنعام بل هم أضل ، فاذا قيل وما دليلنا على هذا الحكم أو العقوبة من الله عزّ وجل ؟ نقول أقرؤوا قوله تعالى : ﴿وَإِذَا

قَـرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾

أذن الله عـز وجل وضع حجاباً أولاً بين قارىء القرآن والكافرين وجعل حجاباً ثانـياً على قلوب الكافرين (أكنة) ووضع حجاباً ثالثاً وهو قطع السماع العضوي بالأذن للقرآن بأن جعل في آذان الكافرين وقراً ، إذن ثلاثة حواجز وليس حاجزاً واحد فالحاجز الواحد لا يكفي لمنع القرآن الكريم من أن يخترق النفوس والقلوب ليستقر في القلب ولا عجب فالجبال لا تتحمل وقع آيات القرآن الكريم قال تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جـبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ أما بالنسبة للمؤمنين كيف يكون وقع سماع القـرآن فـيهم ، قال تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِـهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر :٢٣) وتأكيداً على فرضية الكتاب الأول نلاحـظ أن جمـيع الآيـات المباركة الانف عرضها لا تتحدث عن النفوس وإنما تتحدث عن القلوب لأن خزين القلب يسترجع كلام الله فيكون وقعه أمضى من وقعه في النفوس ، قال تعالى : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد : ٢٤) ولذا نجـد الحـديث عـن جبير بن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطـور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ...﴾ قال : كاد قلـبي (وليس نفسي) أن يطير للإسلام ، وفي رواية وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي (الشفاء للقاضي عياض).

وأن تاثير القرآن الكريم كان في قلوب العرب وغير العرب ، فالعرب أهل الفصاحة والبلاغة نجدهم يسجدون أمام سماع القرآن فقد ذكر أبو عبيدة أن أعرابياً سمع رجل يقرأ ﴿فَاصْـدَعْ بِمَـا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر :٩٤) فسجد وقال: سجدت لفصاحتة وسمع رجلاً آخر يقرأ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ (يوسف: ٨٠) قال : أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام (أحمد فتحي) .

أمـــا تـــأثير القـــرآن الكـــريم في قلـــوب غـــير العرب أي الذين لا يعرفون لغة القـــرآن الكـــريم فنـــنقل الـــرواية التالية عن أحد أولياء الله الصالحين يقول : كنا ستة نفـــر مـــن المـــسلمين علـــى ظهـــر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نـــيويورك وخطـــر لـــنا أن نقـــيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة ، وتيسر لنا ذلـــك وسمـــح لـــبحارة الـــسفينة وطهاتها وخدمها وكلهم نوبيون مسلمون أن يصلوا معـــنا ، وقمـــت بخطـــبة الجمعـــة وإمامه الصلاة والركاب الأجانب متحلقون يرقبون صلاتنا .

بعـــد الـــصلاة تقـــدمت سيدة يوغسلافية كانت شديدة التأثر والانفعال تفيض عيـــناها بالدمـــع ولا تـــتمالك مـــشاعرها ، وقالـــت : إن اللغـــة الـــتي يتحدث بها خطيـــبكم ذات ايقـــاع عجـــيب وإن كـــنت لم افهـــم منه حرفاً ، ثم كانت المفاجأة الحقـــيقة لـــنا وهـــي تقـــول : ولكن ليس هذا الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه ، إن الموضـــوع الـــذي لفـــت حـــسي هو أن الإمام كانت ترد في كلامه فقرات من نوع أخـــر غـــير بقـــية كلامـــه نـــوع أكثـــر موسيقية وأعمق أيقاعا هذه الفقرات الخاصة كانـــت تحـــدث فيّ رعـــشة وقـــشعريرة أنهـــا شيء آخر ، وتفكرنا ملياً ثم ادركنا إنها تعـــني الآيـــات القـــرآنية الـــتي وردت أثناء الخطبة وفي أثناء الصلاة وكانت مع ذلك مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً .

الدليل العاشر: البشارة

قـــال تعـــالى: ﴿كُنـــتُمْ خَيْـــرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ إن فهمنا لهذه الآية المباركة اســـتناداً إلى فرضـــية الكـــتاب الأول هـــي أنها آية بشارة للمسلمين بأن نتيجة سعيهم في الكـــتاب الأول كانـــت متميـــزة علـــى جميع الأمم ، فالله عز وجل يبشرنا بأنا كنا (كنـــتم) (بـــصيغة الماضـــي الدالـــة علـــى سيرة الكتاب الأول) خير أمة أخرجها الله

للناس ، فإن كانت هذه نتيجة سيرتنا الأولى فمن باب الأولى أن نثبت على الحق ونصبر والعاقبة للمتقين .

ثانياً-إثبات الفرضية استنادا إلى الحديث النبوي الشريف

الدليل الأول :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم (رواه البخاري).

دليلنا في الحديث الشريف أن كل مولود في هذه الدنيا ، يولد هو يحمل معه إيمان الفطرة ، وإيمان الفطرة هو العهد الذي قطعه مع الله عز وجل حين جمع الله الخلائق في حساب السيرة الأولى (الكتاب الأول) وسألهم ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾ .

الدليل الثاني :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين . (رواه البخاري)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين .(رواه البخاري)

في هذا الحديث مشكل فهو سؤال لرسول الله ﷺ عن مصير من يموت وهو طفل غير مكلف من أولاد المشركين وكان الجواب محيرا (الله اعلم بما كانوا عاملين) حيث نلاحظ أن الإجابة جاءت بصيغة الماضي ونستطيع أن نفهم الإجابة ضمن منطوق فرضية الكتاب الأول بأنهم إن ماتوا قبل أن يتموا سيرتهم التكليفية في حياتهم الثانية هذه فحسابهم سيكون على سيرتهم في حياتهم الأولى إن كانت تامة أي بلغوا سن التكليف فيها ، والله أعلم بما كانوا عاملين في سيرتهم الأولى ، فإن كانوا مؤمنين أثابهم الجنة وإن كانوا كافرين

فهـــم في مـــشيئة الله إن شـــاء عذبهم على عملهم في سيرتهم الأولى ، وإن شاء رحمهم بقبضهم في سيرتهم الثانية وهم دون سن التكليف كما رحم الله عز وجل الغلام الذي قتله سيدنا الخضر عليه السلام.

الدليل الثالث:

حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع في بطن أمّه أربعين يـــوما ثم يكـــون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراعا فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار. (رواه البخاري)

قال رسول الله ﷺ : إن الله وكلّ في الرحم ملكا فيقول يا رب نطفة يا رب علقة يـــا رب مـــضغة فإذا أراد أن يخلقها قال يا رب أذكر أم أنثى يا رب شقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه . (رواه البخاري)

إن هذين الحديثين الشريفين يؤكدان الآتي :

١- أن رســـول الله ﷺ مهمـــته الهداية والتذكير ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ وهذين الحديثين ليسا من التقنيط والتيئيس بأن أعمالنا مكتوبة فلا داعي للعمل وإنما هي من باب التذكير بعملنا في سيرتنا الأولى ، فالملك الموكل بالرحم يسأل الله عز وجل عن سيرة هذا المولود في حياته الأولى لينقلها أي ينقل سيرته من اللوح المحفوظ (خـــزين الحياة الأولى) إلى حياتنا الثانية هذه ، اما الحديث الأول فيشير إلى الكتاب اصـــلا أي إن الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب (بمفهوم فرضية الكتاب الأول ، ليسبق عليه الكتاب أي الكتاب السابق وهو الكتاب الأول محصلة مسيرتنا الأولى) فإن كانت سيرته صالحة لا يضيع الله أجر

من أحسن عملا فيجعله يعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، فالحديثين تذكير لنا بسيرتنا الأولى .

٢-من خلال فهمنا للحديثين ضمن منطوق فرضية الكتاب الأول تتجلى عدالة ورحمة الله عز وجل في خلقه فلا يبقى منفذ لسموم المستشرقين من علماء الكلام أن يقولوا: كتب علينا في بطون أمهاتنا الشقاوة ، وحتى إن عملنا طيلة حياتنا بعمل أهل الجنة حتى لم يبقى بيننا وبينها إلا ذراع أتى حكم الله علينا في كتابه بأن نعمل بعمل أهل النار فندخلها ؟ فنجيبهم لم يكتب الله عليكم إلا ما قدمتم في سيرتكم الأولى فإن شاء أخذكم بعدله وإن شاء أخذكم برحمته .

الدليل الرابع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : جف القلم بما أنت لاق .(رواه البخاري)

عن علي رضي الله عنه قال : كنا جلوسا مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت به في الأرض فنكس فقال : ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة ، فقال رجل من القوم ألا نتكل يارسول الله ؟ قال : لا ، اعملوا فكل ميسر ، ثم قرأ : فأما من أعطى واتقى...الآية. (رواه البخاري)

نستنتج من الحديثين الشريفين الآتي :

١- مهمة التذكير في الحديثين عن سيرتنا الأولى .

٢- الأزمنة في الآية الكريمة التي كانت شاهدا للرسول الكريم ﷺ وكأنّ المراد من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ في حياته الأولى لأن الأفعال هنا بصيغة الماضي ، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ في حياته الثانية هذه والفعل هنا بصيغة المضارعة. ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ في حياته الأولى الأفعال هنا أيضا بصيغة

الماضـــي ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ في حياته الثانية هذه والفعل هنا بصيغة المضارعة للدلالة على الوقت الحالي .

٣- إن هذا الحكم هو قمة العدالة فقد يسال سائل إن كانت سيرة الرجل في الحياة الأولى صالحة أوجبت له الجنة برحمة الله فما ذنبه ان يعيد سيرته مرة ثانية وقد يخطـــأ فـــيها فـــيدخل النار ؟ فنقول إن الذي كانت سيرته الأولى صالحة فإنه من المشمولين بقوله تعالى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ ومن المشمولين بحديث الرسول الكريم (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) لأن الله عز وجل لا يضيع عمل عامل فمن كان من أهـــل الجنة في الكتاب الأول فهو من أهل الجنة في الكتاب الثاني ومن كان من أهل النار في الكتاب الأول فهو في فرصة الحياة الثانية إن تاب وأصلح أبدل الله مقعده في الـــنار بمقعد في الجنة وإن لم يتب سرى عليه الحكم بالشقاوة المكتوب عليه وهو في بطـــن أمه ، فحق العباد أن يدعوا الله عز وجل أن يثبت قلوبنا على الإيمان فلا نفقد أعمالنا ، قال تعالى:

﴿فَاسْـتَجَابَ لَهُـــمْ رَبُّهُـــمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ (بصيغة الماضي)

﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (الكهف :٣٠)

٤-ومـــن ضمن العمل أيضا الذي لا يضيعه الله الذرية فنجد في حديث العزل لمن سأل رسول الله ﷺ عن : كيف ترى في العزل ؟ فقال رسول الله ﷺ : أوإنكم تفعلـــون ذلك ، لا عليكم أن لا تفعلوا فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي كائنة . (رواه البخاري)

٥-فـــإن قيل إن كانت المقادير موضوعة والله ييسر الخلق للجنة أو النار فما فائـــدة العمـــل إن كنا من أهل النار ؟ وإن كان الله فرغ من خلقنا وتحديد مصائرنا فلمـــاذا يعبأ بنا ويرسل إلينا الرسل للتذكير وهو الكاتب لمصائرنا ؟ نقول لمن يسأل

هذا السؤال: الله عز وجل لا يعبأ فعلا بالعباد فقد فرغ من كتابة أقدارهم ومصائرهم ولكـــن رحمـــته لخلقه فتحت باب التوبة وتغيير الأقدار المسجلة في اللوح المحفوظ والتغـــيير يكون من منفذ رئيس ألا وهو الدعاء فالله فعلا لا يعبأ بنا إلا إذا طرقنا بابه وصدقنا القول والعمل والإنابة إليه والتضرع والدعاء بين يديه فإنه انذاك سيعبأ بنا ، قـــال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (الفرقان :٧٧).

٦-ولـــذلك نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم على ما هم عليه من تقوى وإيمـــان لا يفرطون بباب الدعاء خشية أن يكونوا من أهل الشقاء فقد ثبت أن كثيرا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يدعون الله أن يمحو شقاوتهم إن كانوا قد كتبوا من أهل الشقاوة والذنوب ، من ذلك ما رواه جرير بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عـــنه كـــان يطوف بالبيت ويقول باكيا : اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبا فامحه ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب . وكان من دعاء عبد الله بن مـــسعود : اللـــهم إن كـــنت كتبتني في السعداء فاثبتني فيهم ، وإن كنت كتبتني في الاشقياء فامحني من الاشقياء واكتبني في السعداء ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب .

الدليل الخامس:

إن رسول الله ﷺ صاحب مهمة التذكير كان يتبع أكثر من وسيلة لتذكيرنا بحياتنا الأولى فمنها ما هو مباشر مثل ما بينا في الأحاديث السابقة ومنها ما هو غير مباشر كأن يشير إلى مصير إنسان بعينه بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار وهو من ضمن ما اطلع الله عز وجل نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه على بعض أحداث الكتاب الأول المخزون في اللوح المحفوظ ومنها مصائر بعض من كانوا برفقة النبي ﷺ ، ومن أغرب تلك المصائر حـــديث المحـــارب مع صف المسلمين والذي بنظرة رسول الله إليه علم أنه سيقتل وأنه

سيكون من أهل النار رغم استبساله في القتال وقتله الكثير من المشركين ولتقرأ الحديث الشريف .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن يدعي الإسلام هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال وكثرت به الجراح فأثبتته ، فجاء رجل من أصحاب النبي ﷺ فقال : أرأيت الذي تحدثت أنه من أهل النار ، قاتل في سبيل الله من أشد القتال فكثرت به الجراح ، فقال النبي ﷺ أما إنه من أهل النار ، فكاد بعض المسلمين يرتاب فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح فاهوى بيده إلى كنانته فانتزع منها سهما فانتحر به ، فاشتد رجل من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله صدق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه ، فقال رسول الله ﷺ : يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر . (رواه البخاري)

أما الحديث عن الرجل المؤمن فالعجيب أن الحديث عن مصيره كان في نفس الغزوة غزوة خيبر ، وأن موته كان أيضا بسلاحه ولكن خطأ .

حدثنا سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فقال رجل من القوم: أيا عامر لو سمعتنا من هناتك فنزل يحدو بهم يذكر (تا لله لولا الله ما اهتدينا) وذكر شعرا غير هذا لكني لم احفظه ، قال رسول الله ﷺ : من هذا السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع ، قال : يرحمه الله ، فقال رجل من القوم : يارسول الله لولا متعتنا به ، فلما صاف القوم قاتلوهم ، فاصيب عامر بقائمه سيف نفسه فمات .(رواه البخاري)

ويذكر شارح الحديث ابن حجر العسقلاني: (فقال رجل من القوم) هو عمر بن الخطاب، وسبب قول عمر (لولا متعتنا به) انهم كانوا عرفوا أنه ما استرحم رسول الله ﷺ لإنسان قط في غزاة تخصه الا استشهد فلذا قال عمر لولا متعتنا بعامر. (فتح الباري)

ونلاحظ في الحديثين وسائر الأحاديث رحمة رسول الله ﷺ والصحابة الناقلين للحديث في ستر أسماء الكافرين أو المخطئين وكشف أسماء المؤمنين .

الدليل السادس :

يتـــردد كـــثيرا في الدعاء والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ المقولة : الصلاة والـــسلام عليك يا أول خير خلق الله ويا خاتم الأنبياء والمرسلين . ويستغرب البعض من أن رســـول الله ﷺ أول خـــير خلق الله ، ونقول إن لهذه المخاطبة أصل في الأحاديث الشريفة:

قال رسول الله ﷺ: إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وســـأخبركم بأول أمري أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام . (أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

وروي باســـناد حسن عن العرباض بن سارية أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : اني عـــبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى لي ورؤيا أمي التي رأت .

وفي حـــديث آخر حدثنا بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قـــال : سألت رسول الله ﷺ متى كنت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد. (السيرة للذهبي).

فمن فرضية الكتاب الأول نستطيع أن نفهم أن جميع الرسل بشروا ببعثة أحمد ﷺ وأوصـــوا أتباعهم وأبنائهم ألا يموتوا إلا وهم مسلمون وهذه البشارة والتوصية متأتية من خـــزين الكتاب الأول المحفوظ في اللوح المحفوظ لذا نقدر أن نفهم معنى أن أحمد مكتوب في اللوح المحفوظ (خزين الكتاب الأول) بأنه رسول الله قبل خلق آدم وإنزاله على الأرض في الحياة الثانية والله اعلم .

الدليل السابع:

وعلــى نفس منطوق فرضية الكتاب الأول نستطيع أن نفهم سر الحديث الشريف الـــذي أكد بأن كل شيء متغير ، القدر يغيره الدعاء والعمر يزيده البر ويقصره الفجور والرزق يقل أو يحرم الرجل منه بالذنوب .

قــال رســول الله ﷺ : إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولايرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر . (رواه أحمد والنسائي).

والحـــديث عن أبي هريرة رضي الله عنه (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) . (رواه البخاري ومسلم).

الدليل الثامن:

الكلام عن المصيرين المتناقضين وقد سبق لنا القول بأن الحديث الذي استند عليه القائلـــون بالمصيرين المتناقضين هو حديث لنا لا علينا ولنقرأ الحديث الشريف: (روى البخاري وأبو داود والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: العبد إذا وضع في القبر وتولى وذهب أصحابه ، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فاقعداه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد (ﷺ) ؟ قال : فأما المؤمن فيقول: أشهد أنـــه عبد الله ورسوله ، فيقول: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال النبي ﷺ فيراهما جميعا. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فـــيقول لا أدري، كـــنت أقـــول ما يقوله الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطـــارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه من غير الثقلين). إن الحديث الشريف يبين لنا أن العاصي في الحياة الأولى التي أوجبت عليه معصيته دخول النار بامكانه أن يتوب إلى الله ويستغل الفرصة الممنوحة له في حياته الثانية هذه ، فإذا ما تاب وأصلح عُدّ من المؤمنين وأبدله الله مقعده في النار بمقعد في الجنة ، وهو تأكيد على دور الدعاء في تغـــيير المصائر المسجلة نتيجة للسيرة في الحياة الأولى ، فبهذا الحديث نرد على القائلين

بالمــصيرين المتناقــضين (أي أن الإنسان مسجل عليه مصيران إما مصير إلى الجنة وإما مصير إلى النار) مستندين إلى هذا الحديث فنقول :

١. إن القول بالمصيرين المتناقضين يستوجب أن يكون نص الحديث الشريف للمؤمن : انظر إلى مقعدك في الجنة التي حصلت عليه بعملك الصالح ثم انظر إلى هذا المقعد في النار الذي كنت ستدخله إن لم تؤمن ولكن نص الحديث الشريف أشار إلى عملــية إبدال لمقعد النار بمقعد الجنة ، والإبدال هو عملية تغيير ما مكتوب أصلا ، وهو في الحديث مقعد النار حتما ، أما مقعد الجنة فلم يكن مكتوبا أصلا ولكنه ظهر لاحقا على أنه بديل لمقعد النار ، إذن لا يوجد مصيرين متناقضين أحدهما إلى الجنة والآخر إلى النار والعبد يختار أحدهما بعمله حسب القائلين بالمصيرين المتناقضين ، إنما هناك مصير إلى النار وهذا المصير يناله المنافق والكافر في السيرتين الأولى والثانية ويــضرب بمطــارق من حديد ، أو قد يغير الكافر والمسيء سيرته في الحياة الأولى بالدعاء والعمل الصالح في الحياة الثانية حينذاك يبدل الله مقعده في النار الذي استحقه في حياته الأولى بمقعد في الجنة حسب نص الحديث الشريف ، أما مؤمن الحياة الأولى فهو غير مشمول بهذا الحديث لأن مقعده في الجنة أصلا .

٢. تأكيد آخر لو كان الأمر مصيران متناقضان لكان نص الحديث : انظر إلى مقعــدك في الــنار حولك الله عنه إلى مقعدك في الجنة لكن الحديث الشريف أضاف مقعد النار إلى ضمير التملك (مقعدك من النار) ولم يضفه إلى مقعد الجنة (أبدلك الله به مقعدا في الجنة) فكان مقعد الجنة نكرة لم تعرّف بالاضافة إلى ضمير التملك كما في مقعد النار ، وهذا دليل على أن الأصل المكتوب هو مقعد النار والمبدل هو مقعد الجــنة النكرة غير المحدد أو المكتوب سابقا إذن لا مصيران مكتوبان أصلا بل مصير واحــد أما إلى الجنة حسب سيرة الكتاب الأول وصاحب هذا المصير غير مشمول بهــذا الحــديث لأن مقعده في الجنة أصلا فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأما المصير إلى النار وصاحب هذا المصير مشمول بهذا الحديث وهو أما يبدل مقعده في

النار المثبت عليه نتيجة سيرته الأولى بمقعد في الجنة نتيجة دعائه وتضرعه ، أو يبقى على كفره وضلاله فمصيره النار ومطارق الحديد.

٣. تأكـيد آخـر لو كان الأمر مصيران متناقضان توجب أن يشير الحديث الشريف إلى إبدالين ، الأول إبدال مقعد النار بمقعد في الجنة للمؤمن ، والثاني إبدال مقعـد الجنة بمقعد في النار ، لكن الحديث الشريف أشار إلى إبدال مقعد النار بمقعد الجـنة للمـؤمن الـتائب ولم يشر إلى إبدال مقعد الجنة بمقعد في النار (راجع نص الحـديث) لأنه لا إبدال لمقعد الجنة بمقعد في النار لأن الله لا يضيع عمل عامل من ذكـر أو أنثـى ، وبذلك نثبت بأنه لا يوجد مصيران متناقضان لدى مؤمني السيرة الأولى في سـيرتهم الثانية لأن الله سيسرهم لليسرى ، قال تعالى : ﴿ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾

وحتى أن الرجل المؤمن في السيرة الأولى يعمل بعمل أهل النار في الحياة الثانية ولا يبقـى بينه وبينهما إلا ذراع فيسبق الكتاب (عمله في الكتاب الأول) فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

الدليل التاسع:

بقـي لدينا دليل يمثل القول الفصل في إفصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحـياة الأولى الممـتدة منذ يوم خلق السماوات والأرض حتى قيام الساعة والحساب ثم الاسـتدارة مرة ثانية إلى نقطة الانطلاق (يوم خلق السماوات والأرض) لتعود الأحداث كمـا كانت في الدورة الأولى (الحياة الأولى) لا يغيرها الا الدعاء والتضرع إلى الله ولنقرأ الحديث : حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن محمد ابن سيرين عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يـوم خلق السماوات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة ورجب ومضر الذي بين جمادي وشعبان .(رواه البخاري) .

ونجد في الشطر الأول من الحديث إفصاحاً عن استدارة الزمان ، والاستدارة إكمال الـــدورة والعودة مرة ثانية إلى نقطة البداية وهو تذكير أشد وضوحاً بأننا في الدورة الثانية (الحـــياة الثانية) ولم أقف على أي تفسير أو شرح للحديث في كتب شراح الحديث وإنما تـــناول الشرح فقط الشطر الثاني من الحديث الذي يتحدث عن التقسيم السنوي ، ولا علاقة للشطر الأول بالشطر الثاني من الحديث لأن يوم خلق السماوات والأرض لم تكن الـــسنة اثـــنا عشر شهراً ولم تكن الازمان كما هي عليها الآن وهذا يعلمه أهل الفلك ، فالـــشطر الـــثاني من الحديث لم يكن توضيحاً للشطر الأول وانما بداية لاعطاء معلومة جديدة لاعلاقة لها بالمعلومة الأولى في الشطر الأول من الحديث والله أعلم .

ثالثاً-إثبات الفرضية استناداً إلى اراء الصحابة والتابعين والأولياء

إن إثبات فرضية الكتاب الأول استناداً إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تغـــني عن أي مصدر آخر للإثبات ولكني بعد انتهائي من وضع الفرضية وإثباتها اطلعت علـــى مصادر أخرى لم تكن متيسرة لدي ، هذه المصادر لم تكن قرآناً ولا حديثاً ولكن أقوال لصحابة أو أولياء ، وما ان قرأت المصادر إذا بي أكتشف إن ما كتبته عن مصطلح الكتاب الأول واسم الرسول (أحمد) صلى الله عليه وسلم في الكتاب الأول مذكور نصاً في حـــديث لصحابي تحدث بعد الموت ، وحديث بعد الموت كشف للغطاء الموضوع علـــى خـــزين القلـــب ، فنجد الصحابي يذكر الكتاب الأول بالنص ، ويذكر إن اسم المـــصطفى علـــيه الـــصلاة والسلام في الكتاب الأول هو أحمد وليس محمد ولنقرأ قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت وسبحان ربك رب العزة عما يصفون .

عـــن ســـعيد بـــن المسيب ، أن زيد بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي زمن عثمان بن عفان فسجي بثوبه ، ثم انهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم ثم قال : أحمد أحمد في الكتاب الأول ، صدق صدق ، أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه

القوي في أمر الله ، في الكتاب الأول ، صدق صدق ، عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول ، صدق صدق ، عثمان بن عفان على منهاجهم ، مضت أربع وبقيت اثنتان أتت بالفتن ، وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم من جيشكم خبر ، بئر أريس ، وما بئر أريس .

قال يحيى : قال سعيد : ثم هلك رجل من بني خطمة فسجي بثوبه ، فسمع جلجلة في صدره ، ثم تكلم فقال : إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق .

ثم رواه البيهقي عن الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق ، عن موسى بن الحسن ، عن القعنبي فذكره وقال : هذا اسناد صحيح وله شواهد .

قال البيهقي والأمر فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم أتخذ خاتماً فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر من بعده ، ثم كان في يد عمر ، ثم كان في يد عثمان حتى وقع منه في بئر أريس بعد ما مضى من خلافته ستة سنين ، فعند ذلك تغيرت عماله وظهرت أسباب الفتنة كما قيل على لسان زيد بن خارجة ، قلت : وهي المراد من قوله مضت اثنتان وبقيت أربع وبقي اثنتان على اختلاف الرواية والله اعلم (ابن كثير) .

وقد قال البخاري في التاريخ : زيد بن خارجة الخزرجي الأنصاري شهد بدراً توفي زمن عثمان وهو الذي تكلم بعد الموت .

إن مما سبق ذكره ان الوصول إلى خزين القلب يأتي من مجاهدة النفس والزهد في الدنيا ، لذا وجدنا أن باب مدينة العلم الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان من أوائل السالكين لهذا الدرب لذا فتحت عليه خزائن القلوب ولقد وصف ضرار بن ضمرة علياً رضي الله عنه فقال : واشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد تمثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، (أي الذي لدغته افعى) ويبكي بكاء الحزين ويقول : يا دنيا غرّي غيري ألِي تعرضت ، أم إلي تشوقت ، هيهات ، هيهات ، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك حقير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق (الأمالي لأبي علي القالي) .

وهـــو القائل أيضاً: ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم كلما ضمها من جانب انتشرت مـــن جانب أخر ، من أمات نفسه يلف في كفن الرحمة ويدفن في أرض الكرامة ، ومن أمـــات قلبه يموت في كفن اللعنة ويدفن في أرض العقوبة (مكاشفة القلوب للغزالي) وهنا أسفر الإمام علي كرم الله وجهه عن دور القلب وفرقه عن النفس .

وهـــو القائل أيضاً : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، وقال لا أعبد رباً لم أره ، أراني قلبي ربي . وقوله رضي الله عنه دليل على الرؤية القلبية التي أشرنا إليها .

ويقول جدنا السيد أحمد الرفاعي رحمه الله : إن الزهد أول قدم القاصدين إلى الله عـــزّ وجل . ويقول أيضاً : صفاء القلب والبصيرة ونفاذ نور البصر يكون من قلة الطعام والشراب لأن الجوع يزيل الكبر والتعاظم والتجبر وبه تعذيب النفس حتى تصير مشغولة بالحق وما رأيت شيئاً يكسر النفس مثل الجوع قط ، واما الشبع فإنه يورث قسوة القلب وظلمته وعدم نفاذ نور البصيره (الحكم الرفاعية) .

ويكـــشف السيد أحمد الرفاعي عن بعض أسرار القلوب فيقول : خذ مني يا أخي علـــم القلب ، أين أنت مني يا أخا الحجاب ، كَشِّف لي قلبك . ويقول ليست الهمة أن يقـــف الرجل عند حجابه بل الهمة أن يفتق شراع الحجاب ويتدلى إلى الرحاب ، صوارم الهمـــم تفعـــل ما لا يمر بالأوهام ، حُجُبْ القلب لا تشق إلا بسهام القلوب ، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

دواؤك مــــنك ومـــا تبـــصر   وداؤك فـــيك ومـــا تـــشعر
وتـــزعم انـــك جـــرم صـــغير   وفـــيك انطـــوى العـــالم الأكـــبر

فإذا علمتم ما انطوى فيكم عظمتم شأن ذواتكم واحتفلتم بإعلاء شرف صفاتكم حتى تسمو عن منزلة الحجاب (البرهان المؤيد).

ونقـــول كيف نفهم قول سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه : وفيك انطوى العالم الأكبر ؟ إلاّ أنّ خزين قلوبنا هو خزين للسيرة الكونية المستمدة من اللوح المحفوظ .

ويثير انتباهنا إلى حديث سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه وحديث السيد الرفاعي وحديث الشيخ عبد القادر الكيلاني رضوان الله عليهم أجمعين أنها أحاديث واضحة المعنى وغامضة في نفس الوقت وعن ذلك يقول السيد الرفاعي : أي ولدي إذا سمعت كلام أهل الحضرة فإنه ظاهر غامض ، تكلم سيد أهل الحكمة والبيان وافصح نوع اللسان صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم فأوجز وأوضح وأغمض وهكذا ورّاثه وأتباعه (البرهان المؤيد) ويوضح السيد الرفاعي دور القلب فيقول : أي سادة ، إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين ، إذا صلح القلب أخبر صاحبه بما وراءه وأمامه ونبهه عن أمور لم يكن ليعلمها بشيء دونه ، وإذا فسد حدثه بباطلات يغيب عنها الرشد ، وينتفي معها السعد .

وينبهنا السيد الرفاعي إلى التمعن في قوله لأنه لا يستطيع التصريح بأسراره فيقول : فإن كنت من أرباب البصائر ففي متفرق كلامنا ما يدلك على معانيه ، فإن الكلام لم يخل من إشارة إليه وتنبيه عليه ومعرفته لا تحتمل التصريح فإن خوض غمرات أسراره خطيرة ، وفتح باب الأسرار غزير وافهام الخلق ما لم يألفوا مسالكه من الأسرار عسير وبحره عميق يغرق فيه أكثر الجماهير إلا من تولى الله عزّ وجل أمره وهو يتولى الصالحين(البرهان المؤيد).

وينبه جدنا الرفاعي إلى ضرورة التفريق بين أهل الله من أصحاب الكرامات وبين الأدعياء ، والتفريق سهل حيث يقول : إذا رأيت الرجل يطير في الهواء فلا تعتبره حتى تزن أقواله وأفعاله بميزان الشرع (الحكم الرفاعية) .

ويكشف الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله عن بعض أسرار القلوب فيقول : من وصل إلى هذا المقام كشف الحجب عن عين قلبه كيف التفت من جهاته الست ، أخرق نظره ولم يحجب عنه ، يرفع رأس قلبه فيرى العرش والسماوات وإذا اطرق يرى إطباق الأرض ومساكنها من الجن ، كل هذا سببه الإيمان والمعرفة للحق عزّ وجل مع العلم

بـــالحكم ، إذا وصلت إلى هذا المقام فأدع الخلق إلى باب الحق عزّ وجل ، وقبل هذا لا يجيء منك شيء .

ويقـــول أيضاً : إن آحاد أفراد من الخلق يطلعون على ما يكون لهم ومنهم ، واي وقت يموتون ، وهو مخزون في قلوبهم ، يرون ذلك عياناً كما ترون أنتم هذه الشمس ، لا تعـــبر عـــنه السنتهم ، أول ما يطّلع على ذلك السر ويطلع السر القلب ، ويطلع القلب النفس المطمئنة ، ويستكتم ذلك ، يؤهل لذلك بعد المجاهدات والمكابدات .

مـــن وصل إلى هذا المقام فهو نائب الحق عزّ وجل في الأرض وخليفته فيها وهو باب الأسرار ، عنده مفاتيح خزائن القلوب التي هي خزائن الحق عزّ وجل ، هذا شيء من وراء معقول الخلق (إن هذا المصطلح ينطبق تماماً على تعريف علم الباراسايكولوجي) .

ثم يـــستدرك الـــشيخ رحمه الله بأنه كشف سراً فيقول : اللهم إني أعتذر إليك من الكلام في هذه الأسرار وأنت تعلم أني مغلوب وقد قال بعضهم إياك وما يعتذر منه ولكني إذا صعدت إلى هذا الكرسي أغيب عنكم .

ويـــستمر إيضاح الشيخ الكيلاني فيقول : من جملة العارفين من يقرأ سره ما له في اللـــوح المحفـــوظ ، ثم يطلع القلب على ذلك ، ويامره بكتمه ، وإن لا تطّلع النفس على ذلك .

ويقول: من قوي إيمانه وتمكن في إيقانه رأى بقلبه جميع ما أخبره الله عزّ وجل من أمور القيامة ، يرى الجنة والنار وما فيها ، يرى الصور والملك الموكل به ، يرى الأشياء كما هي ، يرى الدنيا وزوالها وانقلاب دول أهلها ، يرى الخلق كأنهم قبور يمشون .

وكما حذر السيد الرفاعي من أن نفتتن بالمستدرجين من أصحاب الخوارق حذر الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله بأن الوصول لهذه المنزلة يكون باتباع القرآن والسنة النـــبوية فـــيقول : لا يبلغ القلب إلى هذه المنزلة حتى يتحقق له العمل بالكتاب والسنة (الفتح الرباني) .

من كل ما تقدم ألم ندرك بعد أن المسلمين بابتعادهم عن النبع الصافي للإسلام قد ضَــيّقوا بابــاً مــشرعاً للعلم والحضارة لم يكن ليدخله سواهم ، قال تعالى ﴿واتقّوا الله ويُعلمكم الله﴾ وضيّعوا سلاحاً ماضياً لم يكن ليحمله سواهم .

ألم يعلمــوا بعــد أن باب علمهم وسلاح قدرتهم مكنون في ذاتهم المؤمنة التي إن وظّفــوها في الخير سادوا الأمم ونشروا دين العدل والتسامح في الآفاق ، ألم يدركوا بعد معنى قول الإمام علي كرم الله وجهه:

وتــزعم أنــك جــرم صــغير وفــيك انطــوى العــالم الأكــبر

وبهذا الحديث نكون قد أنهينا نظرية الكتاب الأول باراسايكولوجياً وسايكولوجياً

وعقائدياً وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

المراجع والمصادر

١ - أصـــول الـــدين الإسلامي / د. قحطان الدوري و د. رشدي عليان ، مطبعة الإرشاد - بغداد - (١٩٨٦) .

٢ - الامالي / أبو علي القالي / المكتب التجاري - بيروت - بدون تاريخ .

٣ - الإنسان مسير أم مخير / د. محمد سعيد رمضان البوطي - دار الفكر - دمشق (١٩٩٧).

٤ - الباراســـايكولوجي ظواهر وتفسيرات / سامي أحمد الموصلي - شركة دار السلام للنشر - بغداد - (١٩٨٨).

٥ - البداية والنهاية / ابن كثير - دار ابن كثير - بيروت - بدون تاريخ .

٦ - الــبرهان المــؤيد / السيد أحمد الرفاعي - مكتبة الحلواني - دمشق - بدون تاريخ .

٧ - تنويـــر الأذهان في تفسير روح البيان/ إسماعيل حقي البروسوي / الدار الوطنية - بغداد - (١٩٩٠).

٨ - حـــروب العقـــل /تأليف رونالد ماكري - ترجمة سمير محمد - وزارة الثقافة والإعلام - سلسلة كتاب الباراسايكولوجي - (١٩٨٨).

٩ - الحكم الرفاعية / السيد أحمد الرفاعي - مكتبة الشرق الجديد - بغداد - (١٩٩٠).

١٠ - الـــسيد أحمـــد الرفاعـــي ، حـــياته وآثـــاره / يونس الشيخ إبراهيم السامرائي - مكتبة الشرق الجديد - بغداد - بدون تاريخ .

١١ - ســـير ومـــناقب / نجـــم الدين الكيلاني - مكتبة مروة - بغداد - (١٩٩٠).

١٢ - الـــسيرة النـــبوية / الحافظ محمد أحمد بن عثمان الذهبي - دار مكتبة الهلال ، بيروت - بدون تاريخ .

١٣ - صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني - دار الفكر - بيروت - (١٩٨١) .

١٤ - غرباء وخارقون ودخلاء - دراسة في الباراسايكولوجي/ فريد مجيد - مطبعة أسعد - بغداد - (١٩٩٠).

١٥ - الفتاوى / الشيخ محمد متولي الشعراوي - منشورات المكتبة الشرقية - بغداد - (١٩٩٠).

١٦ - فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري / ابن حجر العسقلاني - مطبعة البهية المصرية - القاهرة ١٣٤٨ هجرية .

١٧ - الفتح الرباني والفيض الرحماني / الشيخ عبد القادر الكيلاني - مكتبة الشرق الجديد - بغداد - ١٩٨٣.

١٨ - قصص العرب / محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد جاد المولى وعلي البجاوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٤ - (١٩٦٣).

١٩ - الذين هبطوا من السماء /أنيس منصور - دار الرافدين للنشر - بغداد - (١٩٩٠).

٢٠ - مجلة الباراسايكولوجي والحياة / د. الحارث عبد الحميد - العدد ١١ - سنة (١٩٩٩).

٢١ - محاضرات في الإعجاز القرآني / د. أحمد فتحي الحياني - كلية التربية - جامعة الموصل - (١٩٩٩).

٢٢ - محاضرات في علم النفس/ د. عاصم الحياني - كلية التربية - جامعة الموصل - (١٩٩٩).

٢٣ - المختار من تفسير القرآن العظيم / الشيخ محمد متولي الشعراوي - المكتبة الشرقية - بغداد - (١٩٨٨).

٢٤ - المعجــزة وكــرامات الأولياء / تقي الدين بن تيمية - مكتبة الشرق الجديد - بغداد - (١٩٨٨).

٢٥ - مقدمة ابن خلدون / ابن خلدون - دار القلم - بيروت - (١٩٧٨).

٢٦ - مكاشــفة القلوب / الإمام الغزالي - مكتبة الشرق الجديد - بغداد - (١٩٨٧).

٢٧ - الهندسة الوراثية والاستنساخ البشري في القرآن الكريم /د. عبد الستار الحاج أسمير الرجبو - مطبعة الانتصار - الموصل - (٢٠٠١).

فهرس المحتويات

NAẒARIYYAT AL-KITĀB AL-ᵓAWWAL

(The Theory of the first eternal Record
A doctrinal study in parapsychology)

by

Dr. ᶜAbdul-Sattār Al-Ḥajj Asmīr

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon